محمد رسول الهدى والرحمة وشريعته الخالدة

وضعه

الفيلسوف الانجليزي الاكبر

توماس كارليل

وعربه

محمد السباعي

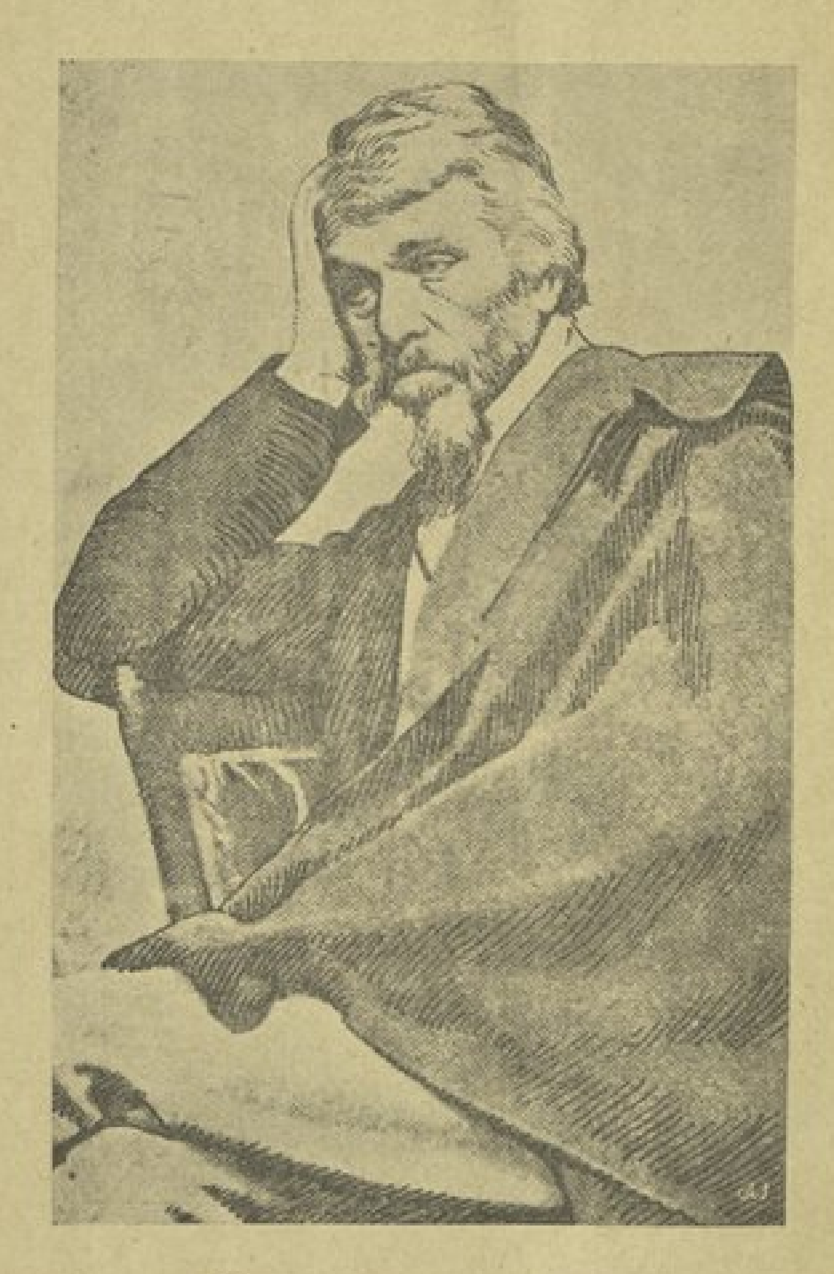
الاديب المصري المعروف

المكتبة الأهلية

في بيروت

للطبع والترجمة والتأليف والنشر

عنيَ بطبعه ونشره — محمد جمال
صاحب المكتبة الاهلية — في بيروت



توماس كارليل – مؤلف هذا الكتاب



محمد رسول الله

الحياة جهاد ، وهذه الخلائق في ميدانها يتسابقون و يتزاحمون ، فترى سكيت الحلبة يود ان يسبق مجليها الى الغاية ، وهو يرى بعينه وقلبه انه مسبوق وانه جد متأخر ، ولكن مطامع النفوس ومطامع الاهواء ، تدفعه الى ما لا أمل في نيله ، وهو رغم علمه بهذا لا يتوانى ابداً في النزول الى الميدان ، ومزاحمة الفرسان ، فيجعل نفسه هزءة للسابقين ، وضحكة للشاهدين ،

ذلك هو مثل من يريد ان يغض من قيمة الرسالة المحمدية ، واثرها البليغ في ترقية الامة العربية ، ورفع مكانة الخليقة الانسانية ، وتمدين هذا العالم ، وفتح سبل النور الى قلبه ، ورفع الغشاوة عن عينه ، فرأى بعقله ونظره ما يدفعه للوصول الى الغاية العمرانية ، وما تتطلبه من القوة والرقي المادي والادبي ، الجثماني والروحاني ، على تفاوت في النظر اليهما ، واختلاف في تحديد قوميهما ، وما يجب ان يؤخذ منها وما يقتضي ان يترك ،

تلك هي رسالة النبي الكريم محمد بن عبد الله العربي القرشي الهاشمي هادم الاصنام ، ومعزز السلام ، واضع الندى في مواضعه كما وضع في مواضعه الحسام ، بنى ركن التوحيد على عبادة الله وحده لا شريك له ، فجعل بذلك حداً لعبادة الناس بعضهم بعضا ، وقضى على قوة الاقوياء ، والاغنياء ، والامراء ، وعبثهم بالضعفاء والفقراء والدهماء ، وجعلهم في الحقوق عند الشريعة سواء ، فاذا ما تخلى بعضهم عن حقوقهم هذه وتركوها متعة لمن استعبدهم ، وخاف من اذلهم وظلمهم ، فالتبعة في ذلك لا عليهم « وما ظلمهم الله ولكن كانوا انفسهم يظلمون »

واذا ما اوصلهم خنوعهم الى ما يألمون منه اشد الالم ، ويصرخون من وقعه اعلى الصراخ ، فما ذلك الا بجريرة استسلامهم ، واثم اهمالهم لما امرهم الله من عدم الخضوع والاستكانة الا لله ، او لمن يحكم بامر الله ، (وما ربك بظلام للعبيد)

. . . .

تلك هي شريعة النبي محمد بن عبد الله (عليه الصلاة والسلام) طلع سناها من مكة ، فمشت بنور ربها ، وضوء وضوحها ، وسهولتها وعدلها ، الى اقصى الارض ، لا يردها غضب مسيطر ، ولا قوة مستأمر ، ولا جهالة جاهل ، ولا حسد عالم ،

وقد ثبتت على الدهر « وهي في المستقبل اكثر ثباتا ورسوخا » رغم ما احاط ابناءها من ضعف وتشتت ، وهرم وتقهقر ، فانما يضعف الجسم ويهرم ، ويفنى ويزول ، اما الروح فهي الحية الباقية الى الابد

حاربها اعلام مشهورون من ارباب الالحاد ، وقاتلها كثير من زعماء النحل ، فما فازوا منها بطائل ، ذلك لانهم انما يحاربونها بسلاح مفلول ،

وعزم مخذول ، مبني على غاية شخصية ، او نزعة اقليمية ، او دعاية قومية او خوفاً على منصب او جاه ، يذهب من يدهم و يخسرون ما يتنعمون به في ظلال ما يزعمون الدفاع عنه والحدب عليه

ان ذلك لا يضير الشريعة المحمدية الا ردحاً من الزمن ، لا يلبث ان يمر حتى تنتبه الافكار والعقول ، الى وجوب البحث عن امر هذه الشريعة الجذابة الفاتنة بمحاسنها وجمالها ، وعلو مكانتها في نفوس اهلها ، وفي عقول من يوفق الى الاطلاع على حقائقها من الباحثين

ولا يعدم الحق انصاراً في كل زمان ومكان : (سنة الله في خلقه) فتلك المطاعن التي يوجهها الارديا، والجهلاء الى رسالة النبي صلى الله عليه وسلم ، كانت سبباً دفع كثيراً من الاوربيين (من المتدينين والملحدين) الى البحث والتنقيب عن حقيقة الشريعة الاسلامية ، وعن تاريخ الاسلام فاهتدى الى الدخول فيه فريق كبير من علية القوم ، وقاموا يبثون هدايته في نفوس اهلهم و جيرانهم وقومهم ، ويؤلفون الكتب ويذيعونها ، طالبين منهم التشرف بالنسبة اليه ، وهم كثر يكونون جيشاً عظيماً منتشراً في اوربا واميركا ، وافريقيا والشرق الاقصى ، وهذا ما يسرنا نحن ابناء العربية خاصة ، ويدخل الطمأنينة على ابناء الانسانية عامة ، لان تقارب الافكار والعقول بيننا وبينهم يجعلنا في غبطة وسعادة ، لما في ذلك من تخفيف الويلات والنكبات عنا وعنهم ، بسبب سوء التفاهم الماضي ، وتلك العقيدة المغلوطة ، التي كانوا يتجهون بها ضدنا ، ويحاربون كل نهضة منا ، خيفة من تقدمنا ، وخيبة لما في الاسلام اذا امتد (على زعمهم) من قضاء على مدنيتهم وعمرانهم . .

الا وان الحقيقة قد ظهرت ووضحت ، وعلم القوم الصادقون : ان

الاسلام وشريعة محمد عليه السلام ، انما روحها المدنية والعمران ، وترقية النفس والاخلاق ، بالعلم والعرفان

ذلك اذا غشي على سجية النبوية العربية ، ولم تعبث به اهواء الاغراب او مطامع الاقوياء المسيطرين

فهم ذلك من فهمه منهم ، وبقي قوم لا بد ان يفهموه يوماً ما ، وعند ذلك يحق لنا ان نقول ان ذلك اليوم المنتظر هو عيد الانسانية الاكبر ، يجتمع فيه الناس جنباً الى جنب ، ورأياً الى رأي ، وعاطفة الى عاطفة ، (اخواناً على سرر متقابلين)

ذلك هو الدين الحق ، الذي أمرنا الله باتباعه ، فنعبده ونمجده ، وننظر الى كل الناس نظرة اخوية ، فيها كل العدل والحق والحب والعطف

. . . .

اقول هذا وبين يدي فصل من كتاب (الابطال) لمؤلفه الفيلسوف الانجليزي الاكبر (توماس كارليل) . قد ترجمه الكاتب القدير الممتاز الاستاذ « محمد السباعي » في مصر ، ونشره الاديب العالم البليغ الاستاذ عبد الرحمن البرقوقي صاحب مجلة البيان ، فاكبرت فيهما هذه الهمة ، وتلك الغيرة على امتنا ، وشكرت لهما هذا الفضل في اذاعة هذا الكتاب النافع .

اما مؤلف الكتاب « كارليل » فنفهم من قراءة كتابه ان روحه روح دينية ، بصورة عامة لا بشكل خاص ، اي انه مؤمن يؤيد كل من يدعو الى الايمان بالله ، والعمل الصالح ، وينهض بالامم الى الرقي العقلي والعمراني ، وليس من طراز المؤمنين بدين من الاديان ، الذين يحاربون غير دينهم مهما كان ذلك الدين المخالف لهم على حق وفضيلة

فهو من هذا النوع الانساني العام الذي يحب الخير للبشرية ، حباً للخير وللبشرية لا حباً بدين خاص ، ونفع خاص ، فهو انساني عام ، لا قومي خاص

تلك هي روح الرجل في مجمل كتابه ، الذي يبحث فيه عن الابطال في صور : الآله . النبي . الشاعر . القديس . وغيرهم ، فهو يأخذ منهم نماذج يعتقدها احسن ما عرف الكون من الرجال ، ويقدمها الى البشرية صورة عالية من صور الحق ، والفضيلة ، والكمال

وانما نعني هنا بما كتبه عن (رسول الله صلى الله عليه وسلم) فقد أبدع واغرب في تقديسه للرسول ، تقديسا وتنزيها يكاد يكون اسلاميا .. فهو يؤيد الاسلامية وشريعتها بشخص رسولها محمد بن عبد الله ، ويعده صادقا منزها عن تهمة الكذب في دعواه ، فهو الرسول الامين الصادق ، الذي أسدى الى الانسانية خيراً عظيما ،

هذا ما يقوله ويعتقده رجل من اعلام الانكليز ، ويدحض اقوال خصوم النبي الغلاة ، الحائدين عن الحق ، المنحرفين عن الصواب ، جهلا او عناداً او مكابرة ، فتراه يطعن هؤلاء الخصوم طعناً مؤلماً لا هوادة فيه فيطرحهم الى الحضيض ، مضرجين باكاذيبهم وترهاتهم

هو يقول لهم في صراحة نيرة :

« لقد اصبح من العار على اي فرد متمدن ان يصغي الى ما يظن من ان دين الاسلام كذب ، او أن محمد كذاب ، وآن لنا ان نحارب ما يشاع من مثل هذه الاقوال السخيفة . وهل رأيتم ان رجلاً كاذبا يستطيع ان يوجد ديناً ؟؟ والله ان الرجل الكاذب لا يقدر ان يبني بيتا من الطوب ... كذب والله ما يذيعه اولئك الكفار ، وان زخرفوه حتى خيلوه حقا وزور وباطل ، وان زينوه حتى اوهموه صدقاً ،

« ولسنا نعد محمداً هذا قط رجلا كاذباً ، يتذرع بالحيل والوسائل الى بغيته ، او يطمح الى ملك وسلطان ، او غير ذلك من الحقائر والصغائر ، وما الرسالة التي أداها الا حق صراح ، وما كلمته الا صوت صادق صادر من العالم المجهول ، وانما هو قطعة من الحياة تفطر عنها قلب الطبيعة ، فاذا هي شهاب قد اضاء العالم اجمع ، ذلك امر الله ، وذلك فضل الله يوتيه من يشاء ، وهذه حقيقة تدمغ كل باطل وتدحض حجة القوم الكافرين »

ثم يذكر العرب ويطري اخلاقهم ، ويصفهم وصفاً حسناً ، مشبهاً اياهم بالطبيعة بما فيها من رقة وصلابة ، واخلاق لطيفة ووعرة ، ويستشهد على رقتهم ونعومة فطرتهم ، بتهافتهم على قول الشعر وسماعه والتغني به ،

ثم يدحض ما يتشدق به بعض من اعماهم التعصب ، وران على قلوبهم الكذب والتلفيق ، من زعمهم معاشرة النبي في صباه لبحيرا الراهب ، وهو قد رآه مرة واحدة في سفرة مع عمه ابي طالب ، يوماً واحداً هو مدة الاستراحة في ذلك المكان ، ولذلك اصل تاريخي بسيط جداً ، اراد منه الكاذبون ان يقولوا شيئاً يدعو الى الشك ، وهو قول مدحوض من نفسه ، لانعباء به بكثير ولا قليل ، فجاء الفيلسوف كارليل على هذه الحادثة وعلى غيرها من اضاليل الاعداء فقال :

« ان محمداً في ذلك الوقت لم يتجاوز الرابعة عشرة من عمره ، ولم يكن يعرف الا لغته ، وماذا عسى ان يتعلم غلام في هذه السن ؟ ؟ ويزعم المتعصبون والملحدون ان محمداً لم يكن يريد بقيامه الا الشهرة ، ومفاخر الجاه والسلطان ، كلا وايم الله ، لقد كان في فؤاد ذلك الرجل الكبير — ابن القفار ، والفلوات المتوقد المقلتين ، العظيم النفس المملوء رحمة وخيراً وحناناً

و براً وحكمة وحجى واربة ونهى — افكار غير الطمع الدنيوي ، ونوايا خلاف طلب الجاه والسلطان ، ومما يبطل دعواهم ، انه قضى عنفوان شبابه وحرارة صباه في تلك العيشة الهادئة المطمئنة ، لم يحاول اثناءها احداث ضجة ولا دوي ، مما يكون وراءه ذكر وشهرة وجاه وسلطة ولما يك الا بعد الاربعين ان تحدث برسالة سماوية ، ولم يك الا بعد ان ذهب الشباب واقبل المشيب ، ان فار بصدره ذلك البركان ، الذي كان هاجماً ، وثار يريد امراً جليلا ، وشأنا عظيما ،

« اذن فلنضرب صفحاً عن مذهب الجائرين ، القائل ان محمداً كاذب ونعد موافقتهم عاراً وسبة وسخافة وحمقا ، فلنربأ بنفوسنا عنه ولنترفع ، يقولون ان الدين ما كان لينتشر لولا السيف ، ولكن ما هو الذي اوجد السيف ؟؟ هو قوة ذلك الدين ، وانه دين حق »

. . .

هذا بعض ما يقوله الرجل في رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، ولو شئت ان أطيل القول للزم ان انقل مقاله كله ... وما اريد هذا ، بل اريد لفت نظر الناس الى ما في كلامه من انصاف وعدل . ومقاله هذا يطلع عليه القارىء بعد هذا الكلام ، فليمعن فيه النظر والتفهم ير عجباً

على ان في بعض ما يقوله ما لا يتفق مع ما نعتقد ونعلم من الامور ، يأتي في تضاعيف كلامه ، ولكن له عذره في هذا ، فهو يقول ما يعتقده ونحن لا نقدر على احراجه والزامه بعقيدتنا ، على ان ذلك قليل في كلامه يشفع له فيه حسن نيته واخلاصه في ما يقول ويعتقد وخاصة لشدة دفاعه عن الرسول عليه الصلاة والسلام وتبرئته من امور ينقولها عليه الغربيون وهو براء منها كما سيرى القاري ، وجماع القول ان الفيلسوف كارليل في كلمته عن محمد

« البطل في صورة رسول » قد أسدى الى الاسلام والحقيقة والانسانية منة كبرى ، كثر الله من امثاله بين البشر

واني لاشكر لحضرة الفاضل السيد محمد جمال عنايته في طبع هذا المقال كما اني ارجو تعميمه بين المسلمين بل بين ابناء العربية عامة ليقرأوا ما يقوله عن نبينا رجل غريب عن ديننا وجنسنا ولغتنا ، والله الموفق .

بشير بموت

بيروت : شوال ١٣٥٢ هجرية — شباط ١٩٣٤ ميلادية



البطل — في صورة رسول

—*—

محمد — الاسلام

ننتقل الآن من تلك العصور الخشنة - عصور الوثنية الشمالية — الى دين آخر في امة اخرى — دين الاسلام في امة العرب - وما هي الا نقلة بعيدة وبون شاسع ، بل اي رفعة وارتقا ، نراه هنا في احوال العالم العامة وافكاره ٠

في هذا الطور الجديد ، لم ير الناس في بطلهم الهاً ، بل رسولاً بوحي من الاله ، وهذه هي الصورة الثانية للبطل ، فاما الاولى واقدم الجميع فقد ذهبت الى حيث لا تعود ابداً ، ولن ترى الناس يؤلهون البطل مها عظم ، بل لنا ان نسأل أكان من اي ناس قط ، انهم عمدوا الى رجل يرونه ويلمسونه ، فقالوا هذا خالق الكون ، أنا لا اظن ذلك ، انما يقولون هذا القول في رجل يتذكرونه ، او كانوا رأوه ، على ان هذا ايضاً لن يكون قط ، ولن يؤله البطل من ثم فصاعداً ، ولو بلغ منتهى العظمة ٠

لقد كان اعتبار الرجل العظيم الهاً غلطة وحشية فاحشة ، ولكن فلنقل ان الرجل العظيم ، ما برح في جميع الازمان لغزاً من الالغاز ، لا ندري كيف نقدره ، ولا كيف نستقبله ونعامله ! ولعل اهم مزايا جيل

من الاجيال ، هو كيفية استقباله لرجله العظيم ، وسواء استقبلوه كاله او كنبي ، او كيفما كان ، فذلك هو السؤال الاكبر ، ومن طريق اجابتهم عن هذا السؤال و كيفية مذهبهم في ذلك الامر ، يمكننا ان نبصر صميم حالتهم الروحانية كما لو كان من خلال نافذة .

فان الرجل العظيم اذ كان مصدره واحدا — اعني من ذات الله ، فهو جنس واحد : « اودين » او « لوثر » او « جونسون » او « بارنز » وارجو ان اوفق الى افهامكم ان جميع هؤلاء من طينة واحدة ، وانه لم يحدث الخلاف العظيم بين احدهم والاخر ، الا الهيئة التي يكتسونها هم ، والطريقة التي يستقبلها بها اهل زمنهم .

من اكبر العار القول ان محمداً كذاب

لقد اصبح من اكبر العار ، على اي فرد متمدين من ابناء هذا العصر ان يصغي الى ما يظن من ان دين الاسلام كذب ، وان محمداً خداع مزور وآن لنا ان نحارب ما يشاع من مثل هذه الاقوال السخيفة المخجلة ، فان الرسالة التي أداها ذلك الرسول ما زالت السراج المنير مدة اثني عشر قرناً لنحو مائتي مليون من الناس (١) امثالنا ، خلقهم الله الذي خلقنا ، افكان احدهم يظن ان هذه الرسالة التي عاش بها ، ومات عليها هذه الملايين الفائتة الحصر والاحصاء ، اكذوبة وخدعة ؟ اما انا فلا استطيع ان ارى هذا الرأي ابداً واذا كان الكذب والغش يروجان عند خلق الله هذا الرواج ، و يصادفان منهم مثل ذلك التصديق والقبول ، فما الناس الا بله ومجانين ،

(١) بل اربعمائة مليون .

وما الحياة الا سخف وعبث واضلولة ، كان الاولى بها ان لا تخلق

فوا اسفاه ما اسوأ هذا الزعم وما اضعف اهله واحقهم بالرثاء والموجدة

هذه الاقوال نتيجة اجيال الكفر وخبث القلوب

و بعد ، فعلى من اراد ان يبلغ منزلة ما في علوم الكائنات ان لا يصدق شيئاً البتة من اقوال اولئك السفهاء ! فانها نتائج جيل كفر ، وعصر جحود والحاد ، وهي دليل على خبث القلوب ، وفساد الضمائر ، وموت الارواح ، في حياة الابدان ، ولعل العالم لم ير قط رأيا أكفر من هذا والأم

الرجل الكاذب لا يستطيع ان يبني بيتا من الطوب

فكيف يوجد دينا ؟؟

وهل رأيتم قط معشر الاخوان ان رجلاً كاذباً يستطيع ان يوجد دينا عجباً ، والله ان الرجل الكاذب لا يقدر ان يبني بيتا من الطوب ! فهو اذا لم يكن عليما بخصائص الجير والجص والتراب وما شاكل ذلك ، فما ذلك الذي يبنيه ببيت ، وانما هو تل من الانقاض ، و كثيب من اخلاط المواد ، نعم وليس جديراً ان يبقى على دعائمه اثني عشر قرناً ، يسكنه مائتا مليون من الانفس ، ولكنه جدير ان تنهار أركانه فينهدم فكأنه لم يكن

قوانين الطبيعة

واني لاعلم انه على المرء ان يسير في جميع امره طبق قوانين الطبيعة ، والا ابت ان تجيب طلبته وتعطيه بغيته ، كذب والله ما يذيعه أولئك الكفار ، وان زخرفوه حتى خيلوه حقا ، وزور وباطل وان زينوه حتى أوهموه صدقا ، وبحنة والله ، ومصاب أن ينخدع الناس شعوبا وأمما بهذه

الاضاليل ، وتسود الكذبة وتقود بهاتيك الاباطيل ، وانما هو كما ذكرت لكم من قبيل الاوراق المالية المزورة يحتال لها الكذاب حتى يخرجها من كفه الاثيمة ، ويحق مصابها بالغير لا به ، واي مصاب وايم ؟ مصاب كمصاب الثورة الفرنسوية واشباهها من الفتن والمحن ، تصبح بملء أفواهها « هذه الاوراق كاذبة! »

الرجل الكبير

اما الرجل الكبير خاصة ، فاني أقول عنه يقينا انه من المحال ان يكون كاذبا ، فاني ارى الصدق امامه واساس كل ما به من فضل ومحمدة ، وعندي انه ما كان رجل كبير -- ميرابو ، او نابليون ، او كرمويل — كفوءاً لقيام بعمل ما الا كان الصدق والاخلاص وحب الخير اول باعثاته على محاولة ما يحاول ، اعني انه رجل صادق النية جاد مخلص قبل كل شيء

اخلاص الرجل الكبير

بل اقول ان الاخلاص — الاخلاص الحر العميق الكبير —هو اول خواص الرجل العظيم كيفما كان ، لا ار يد اخلاص ذلك الرجل الذي لا يبرح يفتخر على الناس باخلاصه ، كلا ان هذا حقير جداً وأيم الله — هذا اخلاص مطحي وقح — وهو في الغالب غرور وفتنة ، انما اخلاص الرجل الكبير هو مما لا يستطيع ان يتحدث به صاحبه ، كلا ولا يشعر به بل لاحسب انه ربما شعر من نفسه بعدم الاخلاص ، اذ اين ذاك الذي يستطيع ان يلزم منهج الحق يوما واحداً ؟ نعم ان الرجل الكبير لا يفخر باخلاصه قط ، بل هو لا يسأل نفسه أهي مخلصة ، او بعبارة اخرى اقول

ان اخلاصه غير متوقف على ارادته ، فهو مخلص على الرغم من نفسه، سواء أراد أم لم يرد ، هو يرى الوجود حقيقة كبرى تروعه وتهوله — حقيقة لا يستطيع ان يهرب من جلالها الباهر مهما حاول ، هكذا خلق الله ذهنه وخلقه ذهنه على هذه الصورة ، هو اول اسباب عظمته ، هو يرى الكون مدهشاً ومخيفاً وحقاً كالموت ، وحقاً كالحياة ، وهذه الحقيقة لا تفارقه ابداً، وان فارقت معظم الناس فساروا على غير هدى، وخبطوا في غياهب الضلال والغواية ، بل تظل هذه الحقيقة كل لحظة بين جنبيه ، ونصب عينيه كأنها مكتوبة بحروف من اللهب ، لا شك فيها ولا ريب ، ها هي ! ها هي : — فاعرفوا هداكم الله ان هذه هي اول صفات العظيم ، وهذا حده الجوهري وتعريفه، وقد توجد هذه في الرجل الصغير فهي جديرة ان توجد في نفس كل انسان خلقه الله ، ولكنها من لوازم الرجل العظيم ، ولا يكون الرجل عظيما الا بها .

مثل هذا الرجل هو ما نسميه رجلا اصليا صافي الجوهر كريم العنصر — فهو رسول مبعوث من الابدية المجهولة برسالة الينا ، فقد نسميه شاعراً او نبيا او الهاً ، وسواء هذا او ذلك ، فقد نعلم ان قوله ليس بمأخوذ من رجل غيره ، ولكنه صادر من لباب حقائق الاشياء ، نعم هو يرى باطن كل شيء لا يحجب عنه ذلك باطل الاصطلاحات ، وكاذب الاعتبارات ، والعادات والمعتقدات وسخيف الاوهام والاراء ، وكيف وان الحقيقة لتسطع لعينه حتى يكاد يعشى لنورها .

كلمات الرجل العظيم

ثم اذا نظرت الى كلمات العظيم ، شاعراً كان او فيلسوفاً او نبياً او

فارساً او ملكاً ، ألا تراها ضرباً من الوحي ! والرجل العظيم في نظري مخلوق من فؤاد الدنيا وأحشاء الكون ، فهو جزء من الحقائق الجوهرية للاشياء ، وقد دل على وجوده بعدة آيات ، أرى ان أحدثها وأجدها هو الرجل العظيم الذي علمه الله العلم والحكمة ، فوجب علينا ان نصغي اليه قبل كل شيء .

وعلى ذلك فلسنا نعد محمداً هذا قط رجلا كاذباً متصنعاً يتذرع بالحيل والوسائل الى بغية ، او يطمح الى درجة ملك او سلطان ، او غير ذلك من الحقائر والصغائر ، وما الرسالة التي اداها الا حق صراح ، وما كلمته الا صوت صادق صادر من العالم المجهول ، كلا ما محمد بالكاذب ولا الملفق وانما هو قطعة من الحياة قد تفطر عنها قلب الطبيعة ، فاذا هي شهاب قد اضاء العالم اجمع ، ذلك امر الله ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم ، وهذه حقيقة تدمغ كل باطل ، وتدحض حجة القوم الكافرين .

هفوات الرجل العظيم

وهب لمحمد (عليه السلام) غلطات وهفوات — وأي انسان لا يخطيء انما العصمة لله وحده — فانه ليس في طاقة اية هفوات او غلطات ان تزري بتلك الحقيقة الكبرى ، وهي انه رجل صادق ونبي مرسل

وأرانا على العموم نجسم الهفوات ونجعل من الجزئيات حجبا تستر عنا الحقائق الكلية — الهفوات ؟ أيحسب الناس انه يخلو منها انسان ؟ ان اكبر الهفوات عندي ان يحسب المرء انه بريء من الهفوات ، ما بال الناس لا يذكرون نبي الله داود ؟ ألم يرتكب داود افظع الجرائم وأشنع الآثام ؟

الا ما اهون أمر الذنوب واصغر خطر الاغلاط -. الجزئيات والقشور — اذا كان لبابها كريما وسرها حراً شريفا ، وكان في التوبة النصوح ، والندم الصادق ، ووخز الضمير ، ولذع الذاكرة ، أكبر مكفر للسيئات ، ومطهر لادران الروح من ادران الشوائب ، أليست التوبة اكرم اعمال المرء قاطبة واقدس افعاله ؟ انما الأمر الذنب هو كما قلت حسبان المرء انه بريء من كل ذنب ، وكل نفس هذا شأنها ، فهي في نظري مطلقة من الوفاء والمروءة ، بعيدة عن التقى والبر والحق — او هي ميتة — او ان تشأ فقل هي نقية نقاء الرمل الجاف الميت ، واني احسب ان سيرة داود وتاريخه كما هو مدون في مزاميره ، لاصدق آية على ارتقاء المرء في معارج المكرمات ، وعلى حرب العقل والهوى — حربا طالما ينهزم فيها العقل هزيمة تضعضع جانبه ، وتتركه لقى مشفيا على الانقراض ، ولكنها حرب بغير نهاية مشفوعة ابداً بالبكاء والتوبة واستنهاض العزم الصادق ، الذي لا يبرح يتجدد بعد كل هزيمة

يا ويل النفس الانسانية ما اشد خطبها بين ضعفها وقوة شهواتها ، او ليست حياة الانسان في هذه الدنيا سلسلة عثرات ؟ وهل في استطاعة المرء خلاف ذلك؟ وهل يطيق في ظلمات هذه الحياة الا الاعتساف والتخبط ؟ فما ينهض من عثرة الا لاخرى ، وبين هذه وتلك نحيب وعبرات وشهيق وزفرات ، وانما الامر المهم هو ، ايظفر بهواه بعد كل هذه المجاهدات ؟ وانا لنصفح عن كثير من الجزئيات ما دام اللباب حقا ، والصميم صحيحا ، وما كانت الجزئيات وحدها لتعرفنا حقيقة انسان

العرب وصفة جزيرة العرب

كانت عرب الجاهلية امة كريمة ، تسكن بلاداً كريمة ، وكأنما خلق الله البلاد واهلها على تمام وفاق ، فكان ثمت شبه قريب بين وعورة جبالهم ، ووعورة اخلاقهم ، وبين جفاء منظرها وجفاء طباعهم ، وكان يلطف من قسوة قلوبهم مزاج من اللين والدماثة ، كما كان يبسط من عبوس وجوه البلاد ، رياض خضراء وقيعان ذات امواه واكلاء ، وكان الاعرابي صامتا لا يتكلم الا فيما يعنيه ، اذ كان يسكن ارضا قفراً يبابا خرساء ، تخالها بحراً من الرمل يصطلي جمرة النهار طوله ، ويكافح بحر وجهه نفحات القر ليله

ولا احسب اناسا شأنهم الانفراد وسط البيد والقفار ، يحادثون ظواهر الطبيعة ، ويناجون اسرارها الا ان يكونون اذكياء القلوب ، حداد الخواطر ، خفاف الحركة ثاقبي النظر ، واذا صح ان الفرس هم فرنسويو المشرق ، فالعرب لا شك طليانه ، والحق اقول لقد كان اولئك العرب قوما اقوياء النفوس ، كأن اخلاقهم سيول دفاقة ، لها من شدة حزمهم وقوة ارادتهم احصن سور وامنع حاجز ، وهذه وابيكم أم الفضائل ، وذروة الشرف الباذخ وقد كان احدهم يضيفه ألد اعدائه فيكرم مثواه وينحر له فاذا ازمع الرحيل خلع عليه وحمله وشيعه ، ثم هو بعد كل ذلك لا يحجم عن ان يقاتله متى عادت به اليه الفرص ، وكان العربي اغلب وقته صامتاً فاذا قال افصح :

ويزعمون ان العرب من عنصر اليهود ، والحقيقة انهم شاركوا

اليهود في مرارة الجد، وخالفوهم في حلاوة الشمائل، ورقة الظرف، وفي ألمعية القريحة، وار يحية اللب، وكان لهم قبل زمن محمد (عليه السلام) منافسات في الشعر، يجرونها بسوق عكاظ في جنوب البلاد، حيث كانت تقام اسواق التجارة، فاذا انتهت الاسواق تناشد الشعراء القصائد، ابتغاء جائزة تجعل للاجود قريضاً، والاحكم قافية، فكان الأعراب الجفاة ذوو الطباع الوعرة، يرتاحون لنغمات القصيد، و يجدون لرناتها أيـة لذة فيتهافتون على المنشد كالفراش، و يتهالكون

التدين في العرب

وأرى لهؤلاء العرب صفة من صفات الاسرائيليين واضحة فيهم، واحسبها ثمرة الفضائل جميعها، والمحامد بحذافيرها، الا وهي التدين فانهم مذ كانوا، ما برحوا شديدي التمسك بدينهم كيفما كان، كانوا يعبدون الكواكب وكثيراً من الكائنات الطبيعية، يرونها مظاهر للخالق ودلائل على عظمته، فهذا وان يك خطأ فليس من جميع وجوهه، فان مصنوعات الله ما برحت بوجه ما، رموزاً له ودلائل عليه، ألسنا كما قدمت نعدها مفخرة للشاعر وفضيلة، ان يكون يدرك ما بالكائنات من اسرار الجمال والجلال او «اسرار الجمال الشعري» كما اصطلح الناس على تسميته؟ وقد كان لهؤلاء العرب عدة انبياء كلهم استاذ قبيلة ومرشدها، حسبما يقتضيه مبلغ علمه ورأيه، ثم أليس لدينا من البراهين الساطعة، ما يثبت لنا اي حكمة بليغة ورأي مسدد، وأي تقوى واخلاص قد كان لهؤلاء البدو المفكرين؟

سفر ايوب كتب في بلاد العرب

وقد اتفق النقاد ان «سفر ايوب» أحد أجزاء التوراة كتابنا المقدس قد كتب في بلاد العرب . ورأيي في هذا الكتاب فضلا عن كل ما كتب عنه انه من أشرف ما سطر يراع ودونت يد كاتب ، ولا يكاد المرء يصدق انه من آثار العبرانيين ، لما فيه من عمومية الافكار مع شرفها وسموها — عمومية تخالف التعصب والتحيز ، وحسب الكتاب شرفا أن يكون يضرب بعرق في كل نفس، ويمت بصلة الى كل قلب ، و يكون كالبيت يفضي اليه منتهى السبل ، و كالارج الضائع تتنازعه جميع الانوف ، والكتاب المذكور هو اول ما جاءنا عن مسألة المسائل — حياة الانسان وفعل الله به في هذه الدار ، وقد اتانا بذلك في انصع بيان ، واشد اخلاص ، واحسن سهولة ،

واني لاتبين فيه العين البصيرة ، والقلب النافذ الفهم ، الجم الخشوع فهو الحق من حيث جئته ، والنظر الراسب في قرارة كل شيء وصميم كل امر — مادي روحاني ، الا تذكرون ما جاء فيه من ذكر الفرس «الله الذي اودع الرعد حنجرته» «فهل ترى صهيله الا قهقهة لرؤية الرماح ؟» هذا والله أجود الاستعارة ، وما احسب ان في عالم التشبيه كله ما يماثل ذلك او يقاربه ، ذلك الى ما في الكتاب المذكور من آيات الحزن الشريف ، والتوكل الحسن الجميل ، وما قرأت فيه قط الا حسبت قلب الانسانية يترنم شجىً ووجداً ، ودمع الانسانية يفيض حرقة وكمداً ، فيا لها من رقة في شدة ، ورأفة في قوة ، وما أشبهها الا بسحر الليلة الصائفة — رقة نسيم في

....

جلال مشهد عظيم ، والا بالكون وكل ما فيه من أنجم و بحار وليل ونهار
وما احسب ان في جميع التوراة شيئا يدانيه فضلا وقيمة

الحجر الاسود والكعبة

والحجر الاسود كان من اعم معبودات العرب ، ولا يزال للآن بمكة في البناء المسمى « الكعبة » وقد ذكر المؤرخ الروماني « سيسلاس » الكعبة فقال : انها كانت في مدته أشرف معابد العالم طراً وأقدمها ، وذلك قبل الميلاد بخمسين عاما ، وقال المؤرخ « سلفستاردي ساسي » : ان الحجر الاسود ربما كان من رجوم السموات ، فاذا صح ذلك فلا بد أن انساناً قد بصر به ساقطا من الجو ! والحجر موجود الان الى جانب البئر زمزم ، والكعبة مبنية فوقها

بئر زمزم

والبئر كما تعلمون منظر حيثما كان سار مفرح ، ينبجس الماء من الحجر الاصم ، كالحياة من الموت ، فما بالكم بها اذا كانت تفيض

بديمومة لا ظل في صحصحانها ولا ماء لكن قورها الدهر عوم
ترى الآل فيها يلطم الآل مائجا و بارحها المسموم للوجه ألطم
أظل اذا كافحتها و كأنني بوهاجها دون اللثام ملثم

وقد اشتق لها اسمها « زمزم » من صوت تفجرها وهديرها ، والعرب تزعم انها انبجست تحت اقدام هاجر واسماعيل فيضاً من الله وشفاء ، وقد قدسها العرب والحجر الاسود ، وشادوا عليها الكعبة منذ الاف من السنين

. . .

الكعبة

وما اعجب هذه الكعبة واعجب شأنها ، فهي في هذه الآونة قائمة على قواعدها عليها الكسوة السوداء ، التي يرسلها السلطان كل عام ، يبلغ ارتفاعها سبعاً وعشرين ذراعاً حولها دائرة مزدوجة من العمد وبها صفوف من المصابيح وبها نقوش وزخارف عجيبة ، وستوقد تلك المصابيح الليلة لتشرق تحت النجوم المشرقة ، فنعم اثر الماضي هي ونعم ميراث الغابر ، هذه كعبة المسلمين ، ومن أقاصي المشرق الى اخريات المغرب ، — من دلهي الى مراكش تتوجه ابصار العديد المجمهر من عباد الله المصلين شطرها ، وتهفو قلوبهم نحوها ، خمس مرات هذا اليوم وكل يوم ، ثم لهي والله من اجل مراكز المعمورة وأشرف اقطابها .

ومن شرف البئر زمزم ، وقدسية الحجر الاسود ، ومن حج القبائل الى ذياك المكان كان منشأ مدينة مكة ، ولقد كانت هذه المدينة وقتا ما ذات بال وشأن ، وان كانت الان قد فقدت كثيراً من اهميتها ، وموقعها من حيث هي مدينة سيء جداً ، اذ هي واقعة في بطن من الارض كثير الرمال ، وسط هضاب قفرة ، وتلال مجدبة ، على مسافة بعيدة من البحر ، يمتار لها جميع ذخائرها من جهات اخرى حتى الخبز ، ولكن الذي اضطر الى ايجاد هذه المدينة هو ان كثيراً من الحجيج كانوا يطلبون المأوى ، ثم ان اماكن الحج ما زالت من قديم الزمان تستدعي التجارة فأول يوم يلتقي فيه الحجيج تلتقي فيه كذلك التجار والباعة ، والناس متى وجدوا انفسهم مجتمعين لغرض من الاغراض ، رأوا انه لا بأس عليهم ان يقضوا كل ما يعرض لهم من المنافع ، وان لم يكن في الحسبان ، لذلك

صارت مكة سوق بلاد العرب باجمعها ، والمركز لكل ما كان من التجارة بين الهند و بين الشام ومصر ، بل و بين ايطاليا ، وقد بلغ سكانها في حين من الاحيان مائة الف نسمة بين بائعين ومشترين وموردين ، لبضائع الشرق والغرب ، و باعة للمأكولات والغلال ، و كانت حكومتها ضربا من الجمهورية الارسطوقراسية ، عليها صبغة دينية ، وذلك انهم كانوا ينتخبون لها بطريقة غير منظمة ، عشرة رجال من قبيلة عظمى ، فيكون هؤلاء حكام مكة وحراس الكعبة ، و كانت لقريش في عهد محمد (وامرة محمد من قبيلة قريش) و كان سائر الامة مبدداً في انحاء تلك الرمال ، قبائل تفصل بين الواحدة والاخرى البيد والقفار ، وعلى كل قبيلة امير او امراء وربما كان الامير راعيا او ناقل امتعة ، و يكون في الغالب لصا ! ! !
و كانت الحرب لا تخمد بين بعض هذه القبائل و بعضها ، ولم يك يؤلف بينهم حلف عاني الا التقاؤهم بالكعبة ، حيث كان يجمعهم على اختلاف وثنياتهم مذهب واحد ورابطة الدم واللغة ، وعلى هذه الطريقة عاش العرب دهوراً خاملي الذكر غامضي الشأن — اناساً ذوي مناقب جليلة وصفات كبيرة ، ينتظرون من حيث لا يشعرون ، اليوم الذي يشاد فيه بذكرهم ويطير في الآفاق صيتهم ، و يرتفع الى عنان السماء صوتهم ، وما ذلك ببعيد ، و كأنما كانت وثنياتهم قد وصلت الى طور الاضمحلال ، وآذنت السقوط ، وقد حدثت بينهم دواعي اختلاط وفوران ، و كان قد بلغهم على مدى القرون غوامض انباء عن اكبر حادثة وقعت على وجه البسيطة — اعني حياة المسيح ووفاته وهي التي احدثت انقلابا هائلا في جميع سكان العالم — فلم تعدم هذه الانباء تأثيرها من الفوران في احشاء الامة العربية

مولد محمد ونشأته وقيام جده وعمه بتربيته

وكان بين هؤلاء العرب التي تلك حالهم ، ان ولد محمد (عليه السلام) عام ٥٨٠ ميلادية ، وكان من اسرة هاشم من قبيلة قريش ، وقد مات ابوه عقب مولده ، ولما بلغ عمره ستة اعوام توفيت امه — وكان لها شهرة بالجمال والفضل والعقل ، فقام عليه جده وهو شيخ قد ناهز المائة من عمره وكان صالحا باراً ، وكان ابنه عبد الله احب اولاده اليه ، فأبصرت عينه الهرمة في محمد صورة عبد الله ، فاحب اليتيم الصغير بملء قلبه ، وكان يقول ينبغي أن يحسن القيام على ذلك الصبي الجميل ، الذي قد فاق سائر الاسرة والقبيلة حسنا وفضلا ، ولما حضرت الشيخ الوفاة والغلام لم يتجاوز العامين ، عهد به الى ابي طالب اكبر اعمامه رأس الاسرة بعده ، فرباه عمه — وكان رجلا عاقلا كما يشهد بذلك كل دليل — على احسن نظام عربي

سفره للشام والتقاؤه بالراهب بحيرا

ولما شب محمد وترعرع صار يصحب عمه في أسفار تجارية وما اشبه وفي الثامنة عشرة من عمره تراه فارساً مقاتلا يتبع عمه في الحروب ، غير أن أهم اسفاره ربما كان ذاك الذي حدث قبل هذا التاريخ ببضع سنين — رحلة الى مشارف الشام ، اذ وجد الفتى نفسه هنالك في عالم جديد ازاء مسألة اجنبية عظيمة الاهمية جداً في نظره اعني الديانة المسيحية ، واني لست ادري ماذا اقول عن ذلك الراهب سرجياس « بحيرا » الذي يزعم ان ابا طالب ومحمداً سكنا معه في دار ، ولا ماذا عساه يتعلمه غلام في

هذه السن الصغيرة من اي راهب ما ، فان محمداً لم يكن يتجاوز اذ ذاك الرابعة عشر ، ولم يعرف الا لغته ، ولا شك ان كثيراً من احوال الشام ومشاهدها لم يك في نظره الا خليطا مشوشاً ، من اشياء ينكرها ولا يفهمها ولكن الغلام كان له عينان ثاقبتان ، ولا بد من ان يكون قد انطبع على لوح فؤاده امور وشؤون ، فأقامت في ثنايا ضميره ولو غير مفهومة ريثما ينضجها له كر الغداة ومر العشي ، وتحلها له يد الزمن يوما ما ، فتخرج منها آراء وعقائد ، ونظرات نافذات ، فلعل هذه الرحلات الشامية كانت لمحمد اوائل خير كثير ، وفوائد جمة

امية محمد

ثم لا ننسى شيئا اخر ، وهو انه لم يتلق دروساً على استاذ ابداً ، وكانت صناعة الخط حديثة العهد اذ ذاك في بلاد العرب ، ويظهر لي ان الحقيقة هي ان محمداً لم يكن يعرف الخط والقراءة ، وكل ما تعلم هو عيشة الصحراء واحوالها ، وكل ما وفق الى معرفته هو ما امكنه ان يشاهده بعينه ، ويتلقاه بفؤاده ، من هذا الكون العديم النهاية ، وعجيب وايم الله امية محمد ، نعم انه لم يعرف من العالم ، ولا من علومه الا ما تيسر له ان يبصره بنفسه ، او يصل الى سمعه في ظلمات صحراء العرب ، ولم يضره ولم يزر به انه لم يعرف علوم العالم ، لا قديمها ولا حديثها ، لانه كان بنفسه غنياً عن كل ذلك ، ولم يقتبس محمد من نور اي انسان اخر ، ولم يغترف من مناهل غيره ، ولم يك في جميع اشباهه من الانبياء والعظماء — اولئك الذين اشبههم بالمصابيح الهادئة في ظلمات الدهور — من كان بين محمد و بينه

ادنى صلة ، وانما نشأ وعاش وحده في احشاء الصحراء ، ونما هنالك وحده بين الطبيعة و بين افكاره .

صدق محمد منذ طفولته

ولوحظ عليه منذ فتائه انه كان شابا مفكراً ، وقد سماه رفقاؤه الامين — رجل الصدق والوفا — الصدق في افعاله واقواله وافكاره ، وقد لاحظوا ان ما من كلمة تخرج من فيه الا وفيها حكمة بليغة ، واني لاعرف عنه انه كان كثير الصمت ، يسكت حيث لا موجب للكلام ، فاذا نطق ، فما شئت من لب وفضل واخلاص وحكمة ، لا يتناول غرضا فيتركه الا وقد انار شبهته ، وكشف ظلمته ، وابان حجته ، واستثار دفينته ، وهكذا يكون الكلام والا فلا ، وقد رأيناه طول حياته ، رجلا راسخ المبدأ ، صارم العزم ، بعيد الهمة ، كريما براً رؤوفا تقيا فاضلا حراً — رجلا شديد الجد مخلصا ، وهو مع ذلك سهل الجانب ، لين العريكة ، جم البشر والطلاقة ، حميد العشرة ، حلو الايناس ، بل ربما مازح وداعب .

الابتسام الصادق والكاذب

وكان على العموم تضيء وجهه ابتسامة مشرقة من فؤاد صادق ، لان من الناس من تكون ابتسامته كاذبة ككذب اعماله واحواله — هؤلاء لا يستطيعون ان يبتسموا ، وكان محمد جميل الوجه ، وضي الطلعة ، حسن القامة ، زاهي اللون ، له عينان سوداوان ، تتلألآن ، واني لاحب في جبينه ذلك العرق الذي كان ينتفخ ويسود في حال غضبه « كالعرق المقوس الوارد في قصة القفازة الحمراء لوالتر سكوت » وكان هذا العرق

خصيصة في بني هاشم ، ولكنه كان ابين في محمد وأظهر ، نعم لقد كان هذا الرجل حاد الطبع ، ناري المزاج ، لكنه كان عادلا صادق النية ، كان ذكي اللب ، شهم الفؤاد :

لوذعياً كأنما بين جنبيه ٭ مصابيح كل ليل بهيم

ممتلئا ناراً ونوراً ، رجلا عظيما بفطرته ، لم تثقفه مدرسة ، ولا هذبه معلم ، وهو غني عن ذلك كالشوكة استغنت عن التنقيح ، فأدى عمله في الحياة وحده في اعماق الصحراء

عيشته الهادئة وزواجه بخديجة

وما الذ وما اوضح قصته مع خديجة ، و كيف انه كان اولاً يسافر في تجارات لها الى اسواق الشام ، و كيف كان ينهج في ذلك أقوم مناهج الحزم والامانه ، و كيف جعل شكرها له يزداد ، وحبها ينمو ، ولما زوجت منه كانت في الاربعين ، و كان هو لم يتجاوز الخمسة والعشرين و كان لا يزال عليها مسحة من ملاحة ، ولقد عاش مع زوجه هذه على اتم وفاق ، والفة ، وصفاء وغبطة ، يخاص لها الحب وحدها ،

ومما يبطل دعوى القائلين (ان محمداً لم يكن صادقا في رسالته بل كان مدافقاً مزوراً) أنه قضى عنفوان شبابه ، وحرارة صباه ، في تلك العيشة الهادئة المطمئنة ، لم يحاول اثناءها احداث ضجة ولا دوي ، مما يكون وراءه ذكر وشهرة وجاه وسلطة ، ولما يك الا بعد الاربعين ان تحدث برسالة سماوية ، ومن هذا التاريخ تبتدئ حوادثه وشواذه ، حقيقية كانت او مختلقة ، وفي هذا التاريخ توفيت خديجة ، نعم لقد كان حتى ذاك الوقت يقنع بالعيش الهادئ الساكن ، و كان حسبه من الذكر

والشهرة ، حسن اراء الجيران فيه ، وجميل ظنونهم بـه ، ولم يك الا بعد أن ذهب الشباب ، واقبل المشيب ، ان فار بصدره ذلك البركان الذي كان هاجعاً ، وثار يريد أمراً جليلا وشأناً عظيما

محمد بريء من الطمع الدنيوي

ويزعم المتعصبون من النصارى والملحدون ان محمداً لم يكن يريد بقيامه إلا الشهرة الشخصية ، ومفاخر الجاه والسلطان ، كلا وايم الله ، لقد كان في فؤاد ذلك الرجل الكبير ابن القفار والفلوات ، المتوقد المقلتين العظيم النفس ، المملوء رحمة وخيراً ، وحناناً وبراً ، وحكمة وحجى ، واربة ونهى — افكار غير الطمع الدنيوي ، ونوايا خلاف طلب السلطة والجاه

محمد مخلص نافذ البصيرة

لا يرضى بالاصطلاحات الكاذبة

وكيف وتلك نفس صامتة كبيرة ، ورجل من الذين لا يمكنهم الا ان يكونوا مخلصين جادين ، فبينما ترى آخرين يرضون بالاصطلاحات الكاذبة ، ويسيرون طبق الاعتبارات الباطلة ، اذ ترى محمداً لم يرض ان يلتفع بمألوف الاكاذيب ويتوشح بمتبع الاباطيل ، لقد كان منفرداً بنفسه العظيمة ، وبحقائق الامور والكائنات ، لقد كان سر الوجود يسطع لعينيه ، كما قلت ، باهواله ومخاوفه ، وروانقه ومباهره ، لم يك هنالك من الاباطيل ، ما يحجب ذلك عنه ، فكأن لسان حال ذلك السر الهائل يناجيه « ها أنذا » فمثل هذا الاخلاص لا يخلو من معنى الهي مقدس ، وما كلمة مثل هذا الرجل الا

صوت خارج من صميم قلب الطبيعة ، فاذا تكلم فكل الاذان برغمها صاغية وكل القلوب واعية ، وكل كلام ما عدا ذلك هباء ، وكل قول جفاء وما زال منذ الاعوام الطوال ـ منذ ايام رحلاته واسفاره يجول بخاطره آلاف من الافكار : ماذا انا ؟ وما ذلك الشيء العديم النهاية ، الذي اعيش فيه ، والذي يسميه الناس كوناً ؟ وما هي الحياة ؟ وما هو الموت ؟ وماذا اعتقد ؟ وماذا افعل ؟ فهل اجابته عن ذلك صخور جبل حراء او شمار يخ طود الطرر ، او تلك القفار والفلوات ؟ كلا ولا قبة الفلك الدوار ، واختلاف الليل والنهار ، ولا النجوم الزاهرة ، والانواء الماطرة ، لم يجبه لا هذا ولا ذاك ، وما للجواب عن ذلك الا روح الرجل ، والا مـا اودع الله فيه من سره !

وهذا ما ينبغي لكل انسان ان يسأل عنه نفسه ، فقد احس ذلك الرجل القفري ، ان هذه هي كبرى المسائل ، واهم الامور ، وكل شيء عديم الاهمية في جانبها ، وكان اذا بحث عن الجواب في فرق اليونان الجدلية او في روايات اليهود المبهمة ، او نظام وثنية العرب الفاسد لم يجده

الرجل العظيم ينظر من خلال الظواهر

الى البواطن ولا يتقيد بالعادات والتقاليد

وقد قلت ان اهم خصائص البطل ، واول صفاته وآخرها هي ان ينظر من خلال الظواهر الى البواطن ، فاما العادات والاستعمالات والاعتبارات والاصطلاحات فينبذها ، جيدة كانت او رديئة ، وكان يقول في نفسه : « هذه الاوثان التي يعبدها القوم لا بد من ان يكون وراءها ودونها شيء

ما هي الا رمز له ، واشارة اليه ، والا فهي باطل وزور وقطع من الخشب لا تضير ولا تنفع » وما لهذا الرجل والاصنام ! وانى تؤثر في مثله اوثان ولو رصعت بالنجوم لا بالذهب ، ولو عبدها الجحاجح من عدنان، والاقيال من حمير ؟ اي خير له في هذه ولو عبدها الناس كافة ؟ انه في واد وهم في واد ، وهم يعمهون في ضلالهم ، وهو ماثل بين يدي الطبيعة قد سطعت لعينيه الحقيقة الهائلة فاما ان يجيبها ، والا فقد حبط سعيه و كان من الخاسرين فلتجبها يا محمد ! اجب لا بد من ان توجد الجواب ، ايزعم الكاذبون ان الطمع وحب الدنيا هو الذي اقام محمداً وآثاره ؟ حمق وايم الله وسخافة وهوس هذا الزعم ، اي فائدة لمثل هذا الرجل في جميع بلاد العرب ، وفي تاج قيصر وصولجان كسرى ! وجميع ما بالارض من تيجان وصوالجة! واين تصير الممالك والتيجان والدول جميعها بعد حين من الدهر ؟ افي مشيخة مكة ، وقضيب مفضض الطرف ، او في ملك كسرى وتاج ذهبي الذوءابة ، منجاة للمرء ومظفرة ؟ كلا — اذن فلنضرب صفحاً عن مذهب الجائرين القائل ان محمداً كاذب، ولنعد موافقتهم عاراً وسبة وسخافة وحمقاً ولنربأ بنفوسنا عنه ولنترفع .

اختلاء محمد بنفسه واعتزاله الناس في شهر رمضان

و كان من شأن محمد أن يعتزل الناس شهر رمضان ، فينقطع الى السكون والوحدة ، دأب العرب وعادتهم ونعمت العادة ما أجل وانفع ولا سيما لرجل كمحمد ، لقد كان يخلو الى نفسه فيناجي ضميره ، صامتاً بين الجبال الصامتة متفتحا صدره لاصوات الكون الغامضة الخفية، اجل حبذا تلك عادة ونعمت .

ابتداء البعثة

فلما كان في الاربعين من عمره وقد خلا الى نفسه في غار بجبل « حراء » قرب مكة شهر رمضان ، ليفكر في تلك المسائل الكبرى ، اذ هو قد خرج الى خديجة ذات يوم وكان قد استصحبها ذلك العام وانزلها قريبا من مكان خلوته ، فقال لها انه بفضل الله قد استجلي غامض السر ، واستثار كامن الامر ، وانه قد أنارت الشبهة ، وانجلى الشك وبرح الخفاء ، وان جميع هذه الاصنام محال وليست الا اخشابا حقيرة ، وان لا اله الا الله وحده لا شريك له فهو الحق وكل ما خلاه باطل ، خلقنا ويرزقنا ، وما نحن وسائر الخلق والكائنات الا ظل له وستار ، يحجب النور الابدي ، والرونق السرمدي ، الله أكبر ولله الحمد .

حقيقة الاسلام وكلمة « جايتي » فيه

ثم الاسلام وهو ان نسلم الامر لله ، ونذعن له ونسكن اليه ونتوكل عليه ، وان القوة كل القوة هي في الاستنامة لحكمه والخضوع لحكمته ، والرضا بقسمته ، اية كانت في هذه الدنيا وفي الاخرة ، ومهما يصيبنا به الله ولو كان الموت الزؤام ، فلنتلقه بوجه مبسوط ، ونفس مغتبطة ، راضية ، ونعلم انه الخير وان لا خير الا هو

كلنا مسلمون

ولقد قال شاعر الالمان واعظم عظمائهم « جايتي » : اذا كان ذلك هو الاسلام ، فكلنا اذن مسلمون ، نعم كل من كان فاضلاً شريف الخلق فهو مسلم ، وقدماً قيل : ان منتهى العقل والحكمة ليس في مجرد الاذعان

للضرورة — فان الضرورة تخضع المرء برغم انفه ، ولا فضل فيما يأتيه الانسان مكرها — بل في اليقين بأن الضرورة الاليمة المرة هي خير مايقع للانسان ، وافضل ما يناله ، وان لله في ذلك حكمة تلطف عن الافهام وتدق عن الاذهان ، وانه من الافن والسخف ان يجعل الانسان من دماغه الضئيل ، ميزانا لذلك العالم واحواله ، بل عليه ان يعتقد ان للكون قانونا عادلا ، وان غاب عن ادراكه ، وان الخير هو اساس الكون والصلاح روح الوجود ، والنفع لباب الحياة ، نعم عليه ان يعرف ذلك و يعتقده و يتبعه في سكوت وتقوى

اقول وما زالت هذه الخطة المثلى ، والمذهب الأشرف الاطهر ، وما زال الرجل مصيباً وظافراً ، وحراً وكريماً وسائراً على المنهج الاقوم وسالكا سبيل السعادة ، وما دام معتصما بحبل الله ، متمسكا بقانون الطبيعة ، الاكبر الامكن ، غير مبال بالقوانين السطحية ، والظواهر الوقتية ، وحسابات الربح والخسارة ، فهو ظافر اذا اتبع ذلك القانون الكبير الجوهري — قطب رحى الكون ومحور الدهر — وليس بظافر اذا فعل غير ذلك ، وحقاً ان أول وسيلة تؤدي الى اتباع هذا القانون هو الاعتقاد بوجوده ثم بانه صالح بل لاشيء غيره صالح ! وهذا يااخواني هو روح الاسلام ! وهذا هو ايضاً روح النصرانية ، والاسلام لو تفقهون ضرب من النصرانية ، والاسلام والنصرانية يأمراننا ان نتوكل على الله قبل كل شيء ، وان نفطم النفس عن الشهوات وننهى القلب عن الهوى ، وان لا نجمح في عنان المنى ، وان نصبر على البث والاسى ، وان نعرف انا لا نعرف شيئاً ، وان نرضى من الله كل ما قسم ، ونعدها يداً بيضاء ، ونعمة غراء ، ونقول الحمد لله على كل حال

وتبارك الله ذو الفضل والجلال ، وتقول : « انا بقسمة الله راضون ، ولو كان ما قسم لنا المنون »

الوحي وجبريل

فمن فضائل الاسلام : تضحية النفس في سبيل الله ، وهذا اشرف ما انزل من السماء على بني الارض ، نعم هو نور الله قد سطع في روح ذلك الرجل ، فانار ظلماتها ، هو ضياء باهر ، كشف تلك الظلمات التي كانت تؤذن بالخسران والهلاك وقد سماه محمد « عليه السلام » وحياً و « جبريل » ، واينا يستطيع ان يحدث له اسماء ؟ الم يجيء في الانجيل ان وحي الله يهبنا الفهم والادراك ؟ ولا شك ان العلم والنفاذ الى صميم الامور وجواهر الاشياء ، لسر من اغمض الاسرار لا يكاد المنطقيون يلمسون منه الا قشوره ، وقد قال نوفاليس : « اليس الايمان هو المعجزة الحقة الدالة على الله ؟ » فشعور محمد اذ اشتعلت روحه بلهيب هذه الحقيقة الساطعة ، بان الحقيقة المذكورة هي اهم ما يجب على الناس علمه ، لم يك الا امراً بديهياً

معنى كلمة محمد رسول الله

وكون الله قد انعم عليه بكشفها له ، ونجاه من الهلاك والظلمة ، وكونه قد اصبح مضطراً الى اظهارها للعالم اجمع — هذا كله هو معنى كلمة « محمد رسول الله » وهذا هو الصدق الجلي والحق المبين

فضل السيدة خديجة وعلي وزيد بن حارثة

ويخيل الينا ان الصالحة خديجة اصغت اليه في دهشة وشك ، ثم آمنت

وقالت : « اي وربي انه لحق » ونتخيل ان محمداً شكر لها ذلك الصنيع ورأى في ايمانها بكلمته الخالصه المقذوفة من بركان صدره ، جميلا يفوق كل ما اسدت اليه من قبل ، فانه ليس اروح لنفس المرء ، ولا اثلج لحشاه من ان يجد له شريكا في اعتقاده ، ولقد قال نوفليس : « ما رأيت شيئا قط آكد ليقيني ، واوثق لاعتقادي من انضمام انسان اخر الي في رأيي » نعم انه لصنيع اغر ، ونعمة وخيرة ، وكذلك ما انفك محمد يذكر خديجة حتى لقي ربه ، حتى ان عائشة — زوجه الصغيرة المحبوبة تلك التي اشتهرت بين المسلمين بجميع المناقب والفضائل طول حياتها — هذه السيدة البارعة الجمال والفطنة ، سألته ذات يوم : « الست الان افضل من خديجة ؟ لقد كانت ارملة مسنة قد ذهب جمالها ، واراك تحبني اكثر مما كنت تحبها . » فأجاب محمد : « كلا والله لست افضل منها وكيف وهي التي آمنت بي ، والكل كافر ومنكر ، ولم يك لي في هذا العالم الا صديق واحد وهذا الصديق هي » وقد امن به مولاه زيد بن حارثة ، وعلي (عليه السلام) وهؤلاء الثلاثة اول من آمن به .

الدعوة الى الاسلام وما قاله محمد في سبيلها

وجعل يذكر رسالته لهذا ولذاك ، فما كان يصادف الا جحوداً وسخرية ، حتى انه لم يؤمن به في خلال ثلاثة اعوام الا ثلاثة عشر رجلا وذلك منتهى البطء وبئس التشجيع ، ولكنه المنتظر في مثل هذه الحال وبعد هذه السنين الثلاث ادب مأدبة لاربعين من ذوي قرابته ، ثم قام بينهم خطيباً ، فذكر دعوته وانه يريد ان يذيعها في سائر انحاء الكون

وانما المسألة الكبرى بل المسألة الوحيدة ، فايهم يمد اليه يده ويأخذ بناصره؟

مروءة علي ونجدته

وبينما القوم صامتون حيرة ودهشة وثب علي (كرم الله وجهه) — وكان غلاماً في السادسة عشرة — وكان قد غاظه سكوت الجماعة فصاح في أحد لهجة ، انه ذاك النصير والظهير ، ولا يحتمل ان القوم كانوا منابذين محمداً ومعاديه ، وكلهم من ذوي قرابته ، وفيهم ابو طالب عم محمد وابو علي ، ولكن رؤية رجل كهل ميمينه غلام في السادسة عشرة يقومان في وجه العالم باجمعه ، كانت مما يدعو الى العجب المضحك ، فانفض القوم ضاحكين ، ولكن الامر لم يك بالمضحك ، بل كان نهاية في الجد والخطر ، اما علي فلا يسعنا الا ان نحبه ونتعشقه ، فانه فتى شريف القدر كبير النفس يفيض وجدانه رحمة وبراً ، ويتلظى فؤاده نجدة وحماسة ، وكان اشجع من ليث ، ولكنها شجاعة ممزوجة برقة ولطف ، ورأفة وحنان ، جدير بها فرسان الصليب في القرون الوسطى ، وقد قتل بالكوفة غيلة ، وانما جنى ذلك على نفسه بشدة عدله حتى حسب كل انسان عادلا مثله ، وقال قبل موته حينما اومر في قاتله : « ان اعش فالامر الي ، وان مت فالامر لكم ، فان آثرتم ان تقتصوا فضربة بضربة ، وان تعفوا أقرب الى التقوى »

استياء قريش من عمل محمد

وكان في عمل محمد هذا اساءة ولا شك الى قريش ، حراس الكعبة وخدمة الاصنام ، وانضم اليه منهم رجلان او ثلاثة اولو بأس ونفوذ ،

وسرى امر محمد ببطء ، ولكنه سريان على كل حال ، و كان محمد بالطبع سيء الوقع لدى كل انسان ، وجعلوا يقولون من هذا الذي يزعم انه اعقل منا جميعا ؟ والذي يعنفنا و يرمينا بالحمق وعبادة الخشب ؟

نصيحة ابي طالب وعزمة محمد

واشار عليه ابو طالب ان يكتم امره و يؤمن به وحده ، وان يكون له من نفسه ما يشغله عن العالم ، وان لا يسخط القوم و يثير غضبهم عليه فيخطر بذلك حياته ، فاجابه محمد : « والله لو وضعوا الشمس في يميني ، والقمر في يساري ، على ان اترك هذا الامر ، حتى يظهره الله ، او اهلك فيه ما تركته » كلا فان في هذه الحقيقة التي جاء بها ، لشيئا من عنصر الطبيعة ذاتها ، لا تفضله الشمس ولا القمر ، ولا اي مصنوعات الطبيعة ، ولا بد لتلك الحقيقة من ان تظهر ، برغم الشمس والقمر ، ما دام قد اراد ان تظهر ، و برغم قريش جميعها ، و بكره سائر الخلائق والكائنات ، نعم لا بد من ان تظهر ، ولا يسعها الا ان تظهر ، بذلك اجاب محمد ، و يقال انه « اغرورقت عيناه » اغرورقت عيناه : لقد احس من عمه البر والشفقة ، وادرك وعورة الحال ، وعلم انه امر ليس بالهين اللين ، ولكنه امر صعب المراس مر المذاق

مواصلة محمد الدعوة واحتماله الشدائد

واستمر يؤدي الرسالة الى كل من اصغى اليه ، و ينشر مذهبه بين الحجيج ، مدة اقامتهم بمكة ، و يستميل الاتباع هنا وهناك ، وهو يلقى اثناء كل ذلك منابذة ومناواة ، ومناصبة بالعداوة ، ومجاهرة وسرا وباديا

وكامناً ، وكانت اقارب به تحميه وتدافع عنه ، ولكنه عزم هو واتباعه على الهجرة الى الحبشة ، فوقع خبر ذلك العزم من قريش اسوأ موقع ، وضاعف حنقهم عليه فنصبوا له الاشراك ، وبثوا الحبائل ، واقسموا بالآلهة ليقتلن محمداً بايديهم ، وكانت خديجة قد توفيت وتوفي ابو طالب ، وتعلمون اصلحكم الله ان محمداً ليس بحاجة الى ان نرثي له ولحاله النكراء اذ ذاك ومقامه الضنك ، وموقفه الحرج ، ولكن اعرفوا معي ان حاله اذ ذاك من الشدة والبلاء لم ير مثلها انسان قط ، فلقد كان يختبئ في الكهوف ويفر متنكراً الى هذا المكان ، والى ذاك ، لا مأوى ولا مجير ، ولا ناصر ، تتهدده الحتوف ، وتترعده المهلكات ، وتفغر له افواهها المنايا ، وكان الامر يتوقف احياناً على ادنى صغيرة — كاجفال فرس من افراس اتباع محمد — فلو حدث ذلك لضاع كل شيء . ولكن امر محمد — ذلك الامر العظيم ما كان لينتهي على مثل تلك الحال

تألب قريش على محمد ليقتلوه وهجرته الى المدينة

فلما كان العام الثالث عشر من رسالته ، وقد وجد اعداءه متألبين عليه وكانوا اربعين رجلا ، كل رجل من قبيلة ، ائتمروا به ليقتلوه ، والفى المقام بمكة مستحيلا ، هاجر الى يثرب حيث التف به الانصار ، والبلدة تسمى الان « المدينة » اي مدينة النبي ، وهي من مكة على ٢٠٠ ميل ، تقوم وسط صخور وقفار ، ومن هذه الهجرة يبتدئ التاريخ في المشرق ، والسنة الاولى من الهجرة توافق ٦٢٢ ميلادية ، وهي السنة الخامسة والخمسون من عمر محمد ، فترون انه كان قد اصبح اذ ذاك شيخاً ، وكان اصحابه يموتون واحداً بعد واحد ، ويخلون امامه مسلكا وعراً ، وسبيلا قفراً ، وخطة

نكراء موحشة ، فاذا هو لم يجد من ذات نفسه مشجعا ومحركا ، ويفجر بعزمه ينبوع امل بين جنبيه ، فهيهات ان يجد بارقات الامل ، فيما يحدق به من عوابس الخطوب ، و يحيط به من كالحات المحن والملمات ، وهكذا شأن كل انسان في مثل هذه الاحوال .

الرد على القائلين بان الاسلام قد انتشر بالسيف

وكانت نية محمد حتى الان ان ينشر دينه بالحكمة ، والموعظة الحسنة فقط ، فلما وجد ان القوم الظالمين لم يكتفوا برفض رسالته السماوية ، وعدم الاصغاء الى صوت ضميره وصيحة لبه ، حتى ارادوا ان يسكتوه فلا ينطق بالرسالة — عزم ابن الصحراء على ان يدافع عن نفسه ، دفاع رجل ثم دفاع عربي ، ولسان حاله يقول اما وقد أبت قريش الا الحرب ، فلينظروا اي فتيان هيجاء نحن ، وحقا رأي فان اولئك القوم اغلقوا اذنهم عن كلمة الحق ، وشريعة الصدق ، وابوا الا تماديا في ضلالهم يستبيحون الحريم ، وينهكون الحرمات ، ، يسلبون و ينهبون ، و يقتلون النفس التي حرم الله قتلها ، و يأتون كل اثم ومنكر ، وقد جاءهم محمد من طريق الرفق والاناة ، فابوا الا عتواً وطغيانا ، فليجعل الامر اذن الى الحسام المهند ، والوشيج المقوم ، والى كل مسرودة حصداء ، وسابحة جرداء ، وكذلك قضى محمد بقية عمره وهي عشر سنين اخرى في حرب وجهاد ، لم يسترح غمضة عين ولا مدرْ فواق ، و كانت النتيجة ما تعلمون ؟

ولقد قيل كثيراً في شأن نشر محمد دينه بالسيف ، فاذا جعل الناس ذلك دليلا على كذبه ، فشد ما اخطأوا وجاروا ، فهم يقولون : ما كان الدين لينتشر لولا السيف ، ولكن ما هو الذي اوجد السيف ؟ هو قوة

ذلك الدين وانه حق ، والرأي الجديد اول ما ينشأ يكون في رأس رجل واحد ، فالذي يعتقده هو فرد — فرد ضد العالم اجمع ، فاذا تناول هذا الفرد سيفا وقام في وجه الدنيا نقلها والله يضيع ، وأرى على العموم ان الحق ينشر نفسه باية طريقة ، حسبما تقتضيه الحال ، أو لم تروا ان النصرانية كانت لا تأنف ان تستخدم السيف احيانا . . ؟ وحسبكم ما فعل شارلمان بقبائل السكسون ، وانا لا احفل أكان انتشار الحق بالسيف ، ام باللسان ام بأية آلة اخرى

لا يصح الا الصحيح

فلندع الحقائق تنشر سلطانها بالخطابة او بالصحافة او بالنار ، لندعها تكافح وتجاهد بايديها وارجلها واظافرها ، فانها لن تهزم الا ما كان يستحق ان يهزم ، وليس في طاقتها قط ان تفني ما هو خير منها ، بل ما هو احط وادنى ، فانها حرب لا حكم فيها الا الطبيعة ذاتها ، ونعم الحكم ما اعدل وما اقسط ، وما كان اعمق جذراً في الحق ، واذهب اعراقا في الطبيعة ، فذلك هو الذي ترونه بعد الهرج والمرج والضوضاء والجلبة ، نامياً زاكياً وحده

عدل الطبيعة

اقول الطبيعة اعدل حكم ، بلى ما اعدل وما اعقل وما ارحم وما احلم انك تأخذ حبوب القمح لتجعلها في بطن الارض ، وربما كانت هذه الحبوب مخلوطة بقشور وتبن وقمامة وتراب ، وسائر اصناف الاقذار ولكن لا بأس عليك من ذلك ، والق الحبوب بجميع ما يخالطها من القذى في

جوف الارض العادلة البارة ، فانها لا تعطيك الا قمحاً خالصا نقيا ، فاما القذى فانها تبلعه في سكون وتدفنه ولا تذكر عنه كلمة ، وما هي الا برهة حتى ترى القمح زاكيا يهتز كأنه سبائك الذهب الابريز ، والارض الكريمة قد طوت كشحاً على الاقذاء واغضت بل انها حولتها كذلك الى اشياء نافعة ولم تشك منها شجواً ولا نصبا وهكذا الطبيعة في جميع شؤونها فهي حق لا باطل ، وهي عظيمة وعادلة ورحيمة حنون ، وهي لا تشترط في الشيء الا ان يكون صادق اللباب حر الصميم ، فاذا كان كذلك حمته وحرسته ، او كان غير ذلك لم تحمه ولم تحرسه ، فترى لكل شيء تحميه الطبيعة روحا من الحق ، اليس شأن حبوب القمح هذه والطبيعة هو شأن كل حقيقة كبرى ، جاءت الى هذه الدنيا او تجيء فيما بعد ؟ اعني ان الحقيقة مزيج من حق و باطل ، نور في ظلام ، وتجيئنا الحقائق في اثواب من القضايا المنطقية والنظرات العلمية عن الكائنات ، لا يمكن ان تكون تامة صحيحة صائبة ، ثم لا بد من ان يجيء يوم يظهر فيه نقصها وخطؤها وجورها ، فتموت وتذهب ، نعم يموت و يذهب جسم كل حقيقة ، ولكن الروح يبقى ابداً و يتخذ ثوبا أطهر ، و بدنا اشرف ، وما يزال ينتقل من الاثواب والابدان من حسن الى احسن وجيد الى اجود ، سنة الطبيعة التي لا تتبدل ، نعم ان جوهر الحقيقة الكريم حي لا يموت وانما النقطة المهمة والامر الوحيد الذي يعرض في محكمة الطبيعة ومجلس قضائها ، هو : هل هذا الروح حق وصوت من اعماق الطبيعة ؟ وليس يهم عند الطبيعة ما نسميه نقاء الشيء او عدم نقائه وليس هو بالسؤال النهائي ، ليس الامر المهم عند الطبيعة حينما تقدم اليها انت لتصدر حكمها فيك ، هو افيك اقذار واكدار ام لا ؟ وانما هو افيك جوهر حق وروح صدق ام لا ؟ او بعبارة تشبيهية

ليس السؤال المهم عند الطبيعة هو أفيك قشور ام لا ؟ بل أفيك قمح ؟
أيقول بعض الناس انه نقي اني اقول له : نعم نقي — نقي جداً ولكنك
قشر — ولكنك باطل واكذوبة وزور وثوب بلا روح ومجرد اصطلاح
وعادة وما امتد بينك وبين سر الكون وقلب الوجود سبب ولا صلة ،
والواقع انك لا نقي ولا غير نقي ، وانما انت لا شيء والطبيعة لا تعرفك
وانها منك براء .

الاسلام والنصرانية

في ذلك الزمن

نحن سمينا الاسلام ضربا من النصرانية ولو نظرنا الى ما كان من
سرعته الى القلوب وشدة امتزاجه بالنفوس واختلاطه بالدماء في العروق لايقنا انه
كان خيراً من تلك النصرانية التي كانت اذ ذاك في الشام واليونان وسائر تلك
الاقطار والبلدان — تلك النصرانية التي كانت تصدع الرأس بضوضائها
الكاذبة ، وتترك القلب ببطلانها قفراً ميتا ! على انه قد كان فيها عنصر من
الحق ، ولكنه ضئيل جداً ، وبفضله فقط آمن الناس بها ، وحقاً انها كانت
ضربا كاذباً من النصرانية ، كالدعي بين الاصلاء ولكنها ضرب حي
على كل حال ذو حياة قلبية وليست مجرد قضايا قفرة ميتة

قضاء محمد على وثنية العرب

والعقائد الفاشية في تلك الايام

ونظر محمد من وراء اصنام العرب الكاذبة ومن وراء مذاهب

اليونان واليهود ، ورواياتهم وبراهينهم ، ومزاعمهم وقضاياهم — نظر ابن القفار والصحارى بقلبه البصير الصادق ، وعينه المتوقدة الجلية الى لباب الامر وصميمه فقال في نفسه : الوثنية باطل ، وهذه الاصنام التي تصقلونها بالزيت والدهن فيقع عليها الذباب ، اخشاب لا تضر ولا تنفع ، وهي منكر وفظيع وكفر لو تعلمون ، انما الحق ان لا اله الا الله وحده لا شريك له خلقكم وبيده حياتكم وموتكم ، وهو أرأف بكم منكم ، وما اصابكم من شيء فهو خير لكم لو كنتم تفقهون

وان ديناً آمن به اولئك العرب الوثنيون وامسكوه بقلوبهم النارية لجدير ان يكون حقاً وجدير ان يصدق به ، وان ما اودع هذا الدين من القواعد هو الشيء الوحيد الذي للانسان ان يؤمن به ، وهذا الشيء هو روح جميع الاديان — روح تلبس اثوابا مختلفة واثوابا متعددة ، وهي في الحقيقة شيء واحد ، وباتباع هذه الروح يصبح الانسان اماما كبيراً لهذا المعبد الاكبر — الكون — جارياً على قواعد الخالق ، تابعا لقوانينه ، لا محاولا عبثاً ان يقاومها او يدافعها ، ولم اعرف قط تعريفا للواجب احسن من هذا والصواب كل الصواب في السير على منهاج الدنيا ، فان الفلاح في ذلك (اذا كان منهاج الدنيا هو طريق الفلاح)

وجاء محمد وشيع النصارى تقيم اسواق الجدال وتتخابط بالحجج الجائرة وماذا افاد ذلك وماذا اثمر ؟ اما ان الاهم ليس صحة ترتيب القضايا المنطقية وحسن انتاجها وانما هو ان خلق الله وابناء ادم يعتقدون تلك الحقائق الكبرى ؟ لقد جاء الاسلام على تلك الملل الكاذبة والنحل الباطلة فابتلعها وحق له ان يبتلعها لانه حقيقة خارجة من قلب الطبيعة وما كاد يظهر الاسلام

حتى احترقت فيه وثنيات العرب وجدليات النصرانية ، و كل ما لم يكن بحق ، فانها حطب ميت اكلته نار الاسلام . فذهب والنار لم تذهب .

القرآن واعجازه

اما القرآن فان فرط اعجاب المسلمين به وقولهم باعجازه هو اكبر دليل على اختلاف الاذواق في الامم المختلفة . هذا وان الترجمة تذهب باكثر جمال الصنعة وحسن الصياغة ولذلك لاعجب اذا قلت ان الاوربي يجد في قراءه القرآن اكبر عناء ، فهو يقرؤه كما يقرأ الجرائد ، لا يزال يقطع في صفحاتها قفاراً من القول الممل المتعب ، و يحمل على ذهنه هضابا وجبالا من الكلم ، لكي يعثر في خلال ذلك على كلمة مفيدة ، اما العرب فيرونه على عكس ذلك لما بين آياته و بين أذواقهم من الملاءمة ، ولان لا ترجمة ذهبت بحسنه ورونقه ، فلذلك رآه العرب من المعجزات واعطوه من التبجيل ما لم يعطه اتقى النصارى لانجيلهم ، وما برح في كل زمان ومكان قاعدة التشريع والعمل ، والقانون المتبع في شؤون الحياة ومسائلها والوحي المنزل من السماء هدى للناس وسراجاً منيراً ، يضيء لهم سبل العيش و يهديهم صراطا مستقيما ، ومصدر أحكام القضاة ، والدرس الواجب على كل مسلم حفظه والاستنارة به في غياهب الحياة ، وفي بلاد المسلمين مساجد يتلى فيها القرآن جميعه كل يوم مرة ، يتقاسمه ثلاثون قارئا على التوالي و كذلك ما برح هذا الكتاب يرن صوته في آذان الالوف من خلق الله وفي قلوبهم اثني عشر قرنا في كل آن ولحظة ، و يقال ان من الفقهاء من قرأه سبعين الف مرة !!

. . . .

الاخلاص من فضائل القرآن

اذا خرجت الكلمة من اللسان لم تتجاوز الآذان ، واذا خرجت من القلب نفذت الى القلب ، والقرآن خارج من فؤاد محمد ، فهو جدير ان يصل الى افئدة سامعيه وقارئيه ، وقد زعم « برادية » وامثاله انه طائفة من الاخاديع والتزاويق لفقها محمد لتكون اعذاراً له عما كان يرتكب ويقترف ، وذرائع لبلوغ مطامعه وغاياته ولكنه قد آن لنا ان نرفض جميع هذه الاقوال ، فاني لامقت كل من يرمي محمداً بمثل هذه الاكاذيب . وما كان ذو نظر صادق ليرى قط في القرآن مثل ذلك الرأي الباطل . والقرآن لو تبصرون ما هو الا جرات ذكيات قذفت بها نفس رجل كبير النفس بعد ان أوقدتها الافكار الطوال ، في الخلوات الصامتات ، وكانت الخواطر تتراكم عليه باسرع من لمح البصر ، وتتزاحم في صدره حتى لا تكاد تجد مخرجا ، وقليل ما نطق به في جانب ما كان يجيش بنفسه العظيمة القوية ، هذا وقد كان تدفع الوقائع وتدفق الخطوب يعجله عن روية القول ، وتنميق الكلم ويا لها من خطوب كانت تطيح بها وتطير فلقد كان في هذه السنين الثلاث والعشرين قطبا لرحى حوادث متلاطمات متصادمات وعالم كله هرج ومرج وفتن ومحن — حروب مع قريش والكفار ومخاصمات بين اصحابه ، وهياج نفسه وثوراتها — كل ذلك جعله في نصب دائم وعناء مستمر فلم تذق نفسه الراحة بعد قيامه بالرسالة قط ، وقد اتخيل روح محمد الحادة الذارية وهي تتململ طول الليل الساهر يطفو بها الوجد ويرسب وتدور بها دوامات الفكر حتى اذا اسفرت لها بارقة رأي حسبته نوراً هبط عليها من السماء وكل عزم مقدس يهم به يخاله جبريل ووحيه . أيزعم الافاكون الجهلة

انه مشعوذ ومحتال ؟ كلا ثم كلا ! ما كان قط ذلك القلب المحتدم الجائش كأنه تنور فكر يفور و يتأجج ، ليكون قلب محتال ومشعوذ ، لقد كانت حياته في نظره حقا ، وهذا الكون حقيقة رائعة كبيرة .

الاخلاص منشأ الفضائل

والاخلاص المحض الصراح يظهر لي انه فضيلة القرآن التي حببته الى العربي وهي اول فضائل الكتاب أياً كان وآخرها وهي منشأ فضائل غيرها بل لا شيء غيرها يمكنه ان يبعث للكتاب فضائل اخرى ومن العجب ان نرى في القرآن عرقا من الشعر يجري فيه من بدايته الى نهايته ثم يتخلله نظرات نافذات — نظرات نبي وحكيم — اجل لقد كان لمحمد في شؤون الحياة عين بصيرة ثم كان له قدرة عظيمة على ان يوقع في اذهاننا كل ما ابصره ذهنه .

القرآن مجلى اسرار الامور

انا لا احفل كثيراً بما جاء في القرآن من الصلوات والتحميد والتمجيد لاني ارى لها في الانجيل شبيها ، ولكني شديد الاعجاب بالنظر الذي ينفذ الى اسرار الامور ، فهذا اعظم ما يلذني ، و يعجبني وهو ما اجده في القرآن ، وذلك كما قلت فضل الله يؤتيه من يشاء

المعجزات في نظر الاسلام

و كان محمد اذا سئل ان يأتي بمعجزة قال : حسبكم بالكون معجزة انظروا الى هذه الارض أليست من عجائب صنع الله ؟ وآية على وجوده وعظمته ؟ هذه الارض التي خلقها الله لكم ونهج لكم فيها سبلا تسعون

في منا كيها وتأكلون من رزقه وهذا السحاب المسير في الافاق لا يدري من اين جاء وهو مسخر في السماء كل سحابة كمارد أسود ثم يسبح بمائه وينضب ليحيي ارضاً مواتا ويخرج منها نباتا ونخيلا واعنابا . أليس ذلك اية ؟ والانعام خلقها لكم تحول الكلاء لبنا وهي فخر لكم . والسفن — وكثيراً ما يذكر السفن —— كالجبال العظيمة المتحركة تنشر اجنحتها وتحتفز في سواء اليم لما حاد من الريح وبدا تسير اذا هي قد وقفت بغتة وقد قبض الله الريح . معجزات والله كل هذه وأي معجزات بمدهاتر بدون؟ الستم انتم معجزات ؟ لقد كنتم صغاراً وقبل ذلك لم تكونوا أبداً ثم لكم جمال وقوة وعقل « ثم أوهبكم الرحمة أشرف الصفات » وتهرمون و يأتيكم المشيب وتضعفون وتهن عظامكم وتموتون فتصبحوا غير موجودين « ثم وهبكم الرحمة » لقد ادهشتني جداً هذه الجملة فان الله ربما كان خلق الناس بلا رحمة فماذا كان يكون امرهم ؟ هذه من محمد نظرة نافذة الى لباب الحقيقة . وكذلك ارى في محمد دلائل شاعرية كبيرة وايات على اشرف المحامد واكرم الخصال . واتبين فيه عقلا راجحا عظيما وعيناً بصيرة وفؤاداً صادقا ورجلا قويا عبقريا لو شاء لكان شاعراً فحلا او فارسا بطلا . او ملكا جليلا . اواي صنف من اصناف الابطال

نعم لقد كان العالم في نظره معجزة اي معجزة . وكان يرى فيه كل ما كان يراه اعاظم المفكرين حتي امم الشمال المتوحشة وهو ان هذا الكون الصلب المادي انما هو في الحقيقة لا شيء — انما هو اية على وجود الله منظورة ملموسة وهو ظل علقه الله على صدر الفضاء لاغير . وكان يقول : هذه الجبال الشامخات ستحلل وتذوب مثل السحاب وتفنى وكان

يقول : الجبال اوتاد الارض، وانها ستفنى كذلك يوم القيامة وان الارض في ذلك اليوم العظيم تتصدع وتتفتت وتذهب في الفضاء هباءاً منثورا ، فتنعدم، و كان لا يزال واضحا لعينيه سلطان الله على كل شيء وامتلاء كل مكان بقوة مجهولة ، ورونق باهر ، وهول عظيم ، هو القوة الصادقة والجوهر والحقيقة ، وهذا ما يسميه علماء العصر القوى والمادة ، ولا يرونه شيئا مقدسا ، بل لا يرونه شيئا واحداً وانما هو اشياء تباع بالدرهم وتوزن بالمثقال ، وتستعمل في تسيير السفن البخارية ، فسرعان ما تنسينا الكيماويات والحسابيات ما يكمن في الكائنات من سر الله ، وما افحش ذلك النسيان عاراً وا كبر هذه الغفلة اثما ، واذا نسينا ذلك فأي الامور يستحق الذكر اذن ، فمعظم العلوم اشياء ميتة خاوية بالية — بقلة ذابلة ، نعم وما احسب العلوم لولا ذلك الا خشبا يابسا ميتا وليس هو بالشجرة النامية ، ولا بالغابة الكثيفة الملتفة ، التي لا تبرح تمدك بالخشب اثر الخشب فيما تمدك وتعطيك ؛ ولن يجد المرء السبيل الى العلم حتى يجده اولا الى العبادة ، اعني انه لا علم الالمن عبد ، والا فما العلم الا شقشقة كاذبة ، وبقلة كما قلت ذابلة

الرد على متهمي الاسلام بشهوانيته

وقد قيل و كتب كثيراً في شهوانية الدين الاسلامي ، وأرى كل ما قيل و كتب جوراً وظلما ، فان الذي اباحه محمد مما تحرمه المسيحية لم يكن من تلقاء نفسه ، وانما كان جاريا متبعا لدى العرب من قديم الازل، وقد قلل محمد هذه الاشياء جهده ، وجعل عليها من الحدود ما كان في امكانه ان يجعل ، والدين المحمدي بعد ذلك ليس بالسهل ولا بالهين و كيف ومعه كل ما تعلمون من الصوم والوضوء ، والقواعد الصعبة الشديدة ،

واقامة الصلاة خمساً في اليوم ، والحرمان من الخمر ، وليس كما يزعمون ، كان نجاح الاسلام وقبول الناس اياه لسهولته ، لانه من افحش الطعن على بني آدم والقدح في اعراضهم ، ان يتهموا بان الباعث لهم على محاولة الجلائل واتيان الجسائم ، هو طلب الراحة واللذة ، التماس الحلو من كل صنف في الدنيا والآخرة ! كلا فان اخس الادميين لا يخلو من شيء من العظمة والجلال ، فالجندي الجاهل الجلف الذي يؤجر يمينه وروحه في الحروب باجر بخس ، له مع ذلك « شرف » يحلف به فتراه لا يبرح يقول : لافعلن ذلك وشرفي ، وليست أمنية أحقر الادميين هي ان يأكل الحلوى ، بل ان ياتي اعملا شريفا وفعلا محمودا ، ويثبت للناس انه رجل فاضل كريم ليعمد ايكم الى ابلد انسان فيريه سبيل المكرمات والمحامد ، فاذا هو قد تاجج قلبه حماسا واتقدت نفسه غيرة ، وصار في الحال بطلا ، وما اظلم الذين يتهمون الانسان بقولهم انه ميال بفطرته الى الراحة ، وانه يستهوى بالترف ويستغوى باللذة ، انما مغريات الانسان وجاذباته هي الاهوال والصعائب والاستشهاد والقتل ، اقدح ما بنفس المرء من زناد الفضل ، تذك نارا تحرق سائر ما فيه من الخسائس والنقائص ، وما كان قط اعتناق الناس لدين من الاديان لما يرجون من متاع ولذة ، بل لما يثور في قلوبهم من دواعي الشرف والعظمة .

براءة محمد من الشهوات وتواضعه وتقشفه

وما كان محمد اخا شهوات ، برغم ما اتهم به ظلما وعدوانا ، وشد ما نجور ونخطىء اذا حسبناه رجلا شهويا ، لا هم له الا قضاء ماربه من

الملاذ ، كلا فما ابعد ما كان بينه و بين الملاذ اية كانت ، لقد كان زاهداً متقشفاً في مسكنه ، ومأكله ، ومشربه ، وملبسه ، وسائر اموره واحواله و كان طعامه عادة الخبز والماء ، ور بما تتابعت الشهور ولم توقد بداره نار وانهم ليذكرون — ونعم ما يذكرون — انه كان يصلح ويرفو ثوبه بيده ، فهل بعد ذلك مكرمة ومفخرة ؟ فحبذا محمد من رجل خشن اللباس ، خشن الطعام ، مجتهد في الله قائم النهار ، ساهر الليل ، دائبا في نشر دين الله ، غير طامح الى ما يطمح اليه اصاغر الرجال من رتبة او دولة او سلطان ، غير متطلع الى ذكر او شهرة كيفما كانت ، رجل عظيم وربكم والا فما كان ملاقيا من اولئك العرب الغلاظ توقيراً واحتراما واكباراً واعظاما ، وما كان يمكنه ان يقودهم و يعاشرهم معظم اوقاته ، ثلاثا وعشرين حجة وهم ملتفون به يقاتلون بين يديه ، ويجاهدون حوله ، لقد كان في هؤلاء العرب جفاء ، وغلظة ، وبادرة ، وعجرفية ، و كانوا حماة الانوف ، أباة الضيم ، وعر المقادة ، صعاب الشكيمة ، فمن قدر على رياضتهم ، وتذليل جانبهم حتى رضخوا له واستقادوا فذلكم وايم الله بطل كبير ، ولولا ما ابصروا فيه من آيات النبل والفضل ، لما خضعوا له ولا اذعنوا ، و كيف وقد كانوا أطوع له من بنانه

وظني انه لو كان أتيح لهم بدل محمد قيصر من القياصرة ، بتاجه وصولجانه ، لما كان مصيبا من طاعتهم مقدار ما ناله محمد ، في ثوبه المرقع بيده فكذلك تكون العظمة ، وهكذا تكون الابطال

مكرمات محمد واخلاقه

وكانت اخر كلماته تسبيحا وصلاة — صوت فؤاد يهم بين الرجاء والخوف ، ان يصعد الى ربه ، ولا نحسب ان شدة تدينه ازرت بفضله كلا بل زادته فضلا ، وقد يروى عنه مكرمات عالية ، منها قوله حين رزيء غلامه :

العين تدمع والقلب يوجع ، ولا نقول ما يسخط الرب

ولما استشهد مولاه زيد « ابن حارثة » في غزوة « موءتة » قال محمد : لقد جاهد زيد في الله حق جهاده ، وقد لقي الله اليوم ، فلا بأس عليه ، ولكن ابنة زيد وجدته بعد ذلك يبكي على جثة ابيها — وجدت الرجل الكهل الذي دب في رأسه المشيب بذوب قلبه دمعا ! فقالت : « ماذا أرى » ؟؟ قال : « صديقاً يبكي صديقه »

مثل هذه الاقوال وهذه الافعال ترينا في محمد أخا الانسانية الرحيم — أخانا جميعا الروءوف الشفيق ، وابن أمنا الاولى وابينا الاول

براءة محمد من الرياء والتصنع

واني لاحب محمداً لبراءة طبعه من الريا والتصنع . ولقد كان ابن القفار هذا رجلا مستقل الرأي ، لا يعول الا على نفسه ولا يدعي ماليس فيه ، ولم يك متكبراً ولكنه لم يكن ذليلا ضرعا ، فهو قائم في ثوبه المرقع كما اوجده الله وكما اراد ، يخاطب بقوله الحر المبين ، قياصرة الروم واكاسرة العجم ، يرشدهم الى ما يجب عليهم لهذه الحياة وللحياة الاخرة

وكان يعرف لنفسه قدرها ، ولم تخل الحروب الشديدة التي وقعت له مع الاعراب من مشاهد قسوة ، ولكنها لم تخل كذلك من دلائل رحمة وكرم وغفران . وكان محمد لا يعتذر من الاولى ولا يفتخر بالثانية ، اذ كان يراها من وحي وجدانه واوامر شعوره ، ولم يكن وجدانه لديه بالمتهم ولا شعوره بالظنين

ما كان محمد بعابث

وكان رجلا ماضي العزم ، لا يؤخر عمل اليوم الى غد ، وطالما كان يذكر يوم « تبوك » اذ ابى رجاله السير الى موطن القتال ، واحتجوا بانه أوان الحصيد وبالحر ، فقال لهم : الحصيد ! انه لا يلبث الا يوماً ، فماذا تتزودون للآخرة ؟ والحر ؟ نعم انه حر ولكن جهنم اشد حراً ، وربما خرج بعض كلامه تهكماً وسخرية . اذ يقول للكفار : ستجزون يوم القيامة على اعمالكم ، ويوزن لكم الجزاء ثم لا تبخسون مثقال ذرة

وما كان محمد بعابث قط ، ولا شاب شيئاً من قوله شائبة لعب ولهو بل كان الامر عنده امر خسران وفلاح ومسألة فناء وبقاء ، ولم يك منه ازاءها الا الاخلاص الشديد ، والجد المر

التلاعب بالحقائق

من افظع الجرائم

فاما التلاعب بالاقوال والقضايا المنطقية ، والعبث بالحقائق ، فما كان من شأنه قط . وذلك عندي افظع الجرائم ، اذ ليس هو الا رقدة القلب ووسن العين عن الحق ، وعيشة المرء في مظاهر كاذبة ، وليس كل ما

يستنكر من مثل هذا الانسان ، هو ان جميع اقواله واعماله أكاذيب ، بل انه هو نفسه أكذوبة ، وارى خصلة المروءة والشرف — شعاع الله— متضائلا في مثل ذلك الرجل ، مضطرباً بين عوامل الحياة والموت ، فهو رجل كاذب ، لا انكر انه مصقول اللسان ، مهذب حواشي الكلام ، محترم في بعض الازمان والامكنة ، لا تؤذيك بادرته ، لين الملمس رفيق الملمس ، لكنه كحمض الكربون ، تراه على لطفه مماً نقيعاً وموتاً ذريعاً

المساواة بين الناس من خلال الاسلام

وفي الاسلام خلة اراها من اشرف الخلال واجلها وهي التسوية بين الناس . وهذا يدل على اصدق النظر ، واصوب الرأي . فنفس المؤمن راجحة بجميع دول الارض والناس في الاسلام سواء .

الزكاة في الاسلام

والاسلام لا يكتفي بجعل الصدقة سنة محبوبة ، بل يجعلها فرضا حتما على كل مسلم، وقاعدة من قواعد الاسلام ، ثم يقدرها بالنسبة الى ثروة الرجل . فتكون جزء من اربعين من الثروة ، تعطي الى الفقراء والمساكين والمنكوبين . جميل والله كل هذا ، وما هو الاصوت الانسانية -- صوت الرحمة والاخاء والمساواة ، يصيح من فؤاد ذلك الرجل — ابن القفار والصحراء .

...

الجنة والنار في نظر القرآن

وينكر البعض تغلب الحسية والمادية على جنة محمد وناره ، فاقول ان العيب في ذلك على الشراح والمفسرين لا على ما جاء في الكتاب ، فان القرآن قد اقل جداً من اسناد الحسيات والماديات الى الجنة والنار ، وكل ما فيه عن هذا الشأن ايماء وتلميح ، وانما المفسرون والشراح هم الذين لم يتركوا لذة حسية ، ولا متعة شهوية حتى الحقوها بالجنة ، ولا عذابا بدنيا ، والما جثمانيا ، حتى اسندوه الى النار ، ثم لا تنسوا ان القرآن جعل اكبر ملاذ الجنة روحانيا اذ قال : « وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين » فالسلام والامن هما فى نظر كل عاقل اقصى اماني المرء واعظم الملاذ قاطبة ، الشيء الذي عبثا يتلمسه الانسان في الحياة الدنيا ، وقال ايضا : « ونزعنا ما في صدورهم من غل ، اخوانا على سرر متقابلين » واي رذيلة اخبث من الغل ، مصدر المحن والمصائب والنقم والآفات ، واي شيء أهنأ من التآلف والتصافي ؟

الصيام في الاسلام

وأي دليل اشهر ببراءة الاسلام من الميل الى الملاذ من شهر رمضان الذي تلجم فيه الشهوات ، وتزجر النفس عن غاياتها ، وتقدع عن مآربها وهذا هو منتهى العقل والحزم ، فان مباشرة اللذات ليس بالمنكر ، وانما المنكر هو أن تذل النفس لجبار الشهوات ، وتنقاد لحادي الاوطار والرغبات ، ولعل امجد الخصال واشرف المكارم ، هو ان يكون للمرء من نفسه على نفسه سلطان ، وان يجعل من لذاته لا سلاسل واغلالا تعيبه

وتعتاض عليه ، اذا هم ان يصدعها ، بل حليا وزخارف متى شاء ، فلا شيء اهون عليه من خلعها ، ولا اسهل من نزعها ، و كذلك امر رمضان سواء أكان مقصوداً من محمد معيناً ، او كان وحي الغريزة والهاماً فطريا فهو والله نعم الامر .

الجنة والنار رمز الحقيقة الابدية

ويمكننا القول على كل حال بان الجنة والنار ، هاتين هما رمز الحقيقة ابدية لم تصادف من حسن الذكر قط مثلما صادفت في القران ، وماذا ترون تلك الجنة وملاذها وهاته النار وعذابها ، وقيام الساعة التي يقول عنها: « يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت ، وتضع كل ذات حمل حملها ، وترى الناس سكاري وما هم بسكارى » ماذا ترون كل هذه الا ظلا تمثل في خيال ذلك النبي الشاعر للحقيقة الروحانية الكبري رأس الحقائق اعني الواجب ، وجسامة امره ، لقد كان هذا الرجل يرى الحياة امراً جسيما ويري لكل عمل انساني معها حقر خطارة كبرى ، فما كان من سيء فله من السوء نتيجة ابدية ، وما كان صالحاً فله من الصلاح ثمر تمسرمدية وان المرء قد يسمو بصالحاته الى اعلى عليين ، ويهبط بموبقاته الى اسفل سافلين ، وان على عمره القصير تقوم دعائم ابدية هائلة خفية ، كل ذلك كان يلتهب في روح ذلك الرجل العفري ، كانما قد نقش ثمت باحرف النار ، وكل ذلك قد حاول في اشد اخلاص ، واحد جد ، ان يخرجه للناس ويصوره لهم ، فاخرجه وصوره في صورة تلكم النار والجنة واي ثوب لبسته هذه الحقيقة ، واي قالب صبت فيه فلا تزال اولى الحقائق مقدسة في اي اسلوب واي صورة ،

منزلة الاسلام في قلوب المسلمين

وعلى كل حال فهذا الدين ضرب من النصرانية ، وفيه للمبصرين اشرف معاني الروحانية واعلاها ، فاعرفوا له قدره ، ولا تبخسوه حقه ، ولقد مضى عليه مئتان والف عام وهو الدين القويم ، والصراط المستقيم ، لخمس العالم ، وما زال فوق ذلك ديناً يؤمن به اهله من حبات افئدتهم ، ولا احسب ان امة من النصارى اعتصموا بدينهم ، اعتصام المسلمين باسلامهم ، اذ يوقنون به كل اليقين ، ويواجهون به الدهر والابد ، وسينادي الحارس الليلة في شوارع القاهرة احد المارة « من السائر ؟ » فيجيبه السائر « لا آله الا الله » وان كلمة التوحيد والتكبير والتهليل لترن آناء الليل واطراف النهار ، في ارواح تلك الملايين الكثيفة ، وان الفقهاء ذوي الغيرة في الله والتفاني في حبه ، ليأتون شعوب الوثنية بالهند والصين والمالاي ، فيهدمون اضاليلهم ، ويشيدون مكانها قواعد الاسلام ، ونعم ما يفعلون ،

تأثير الاسلام على العرب وفضله عليهم

ولقد اخرج الله العرب بالاسلام ، من الظلمات الى النور ، واحيى به من العرب امة هامدة وارضاها مدة ، وهل كانت الا فئة من جوالة الاعراب ، خاملة فقيرة تجوب الفلاة ، منذ بدء العالم ، لا يسمع لها صوت ولا تحس منها حركة ، فارسل الله لهم نبياً بكلمة من لدنه ورسالة من قبله فاذا الخمول قد استحال شهرة ، والغموض نباهة ، والضعة رفعة ، والضعف قوة ، والشرارة حريقا ، وسع نوره الانحاء ، وعم ضوءه الارجاء ، وعقد شعاعه الشمال بالجنوب ، والمشرق بالمغرب ، وما هو الا قرن بعد هذا

لحادث ، حتى اصبح لدولة العرب رجل في الهند ، ورجل في الاندلس واشرقت دولة الاسلام حقباً عديدة ، ودهوراً مديدة ، بنور الفضل والنبل ، والمروءة والبأس ، والنجدة ، ورونق الحق والهدى ، على نصف المعمورة ، وكذلك الايمان عظيم وهو مبعث الحياة ، ومنبع القوة ، ومـا يزال للامة رقي في درج الفضل ، وتعريج الى ذرى المجد ، ما دام مذهبها اليقين ومنهاجها الايمان ، ألستم ترون في حالة اولئك الاعراب ومحمدهم وعصرهم ، كأنما قد وقعت من السماء شرارة على تلك الرمال ، التي كان لا يبصر بها فضل ، ولا يرجى فيها خير ، فاذا هي بارود سريع الانفجار وما هي برمل ميت ، واذا هي قد تأججت واشتعلت ، واتصلت نيرانها بين غرناطة ودلهي

ولطالما قلت ان الرجل العظيم كالشهاب من السماء ، وسائر الناس في انتظاره كالحطب ، فما هو الا ان يسقط حتى يتأججوا ويلتهبوا

تم الكتاب

العروة الوثقى

للامامين الحكيمين

السيد جمال الدين الافغاني — والشيخ محمد عبده

رضي الله عنهما

---

٥٢٨ صفحة ، ورق جيد - طبع جميل

٤٠ - ثمنه اربعون قرشاً سوريا - ٤٠

تحت راية القرآن

تأليف

نابغة الادب ، وحجة العرب ، الاستاذ

مصطفى صادق الرافعي

في الرد على الدكتور

طه حسين

في كتابه « في الشعر الجاهلي »

---

٤٤٠ صفحة بالقطع الكبير

ثمنه ٤٠ اربعون قرشاً سوريا